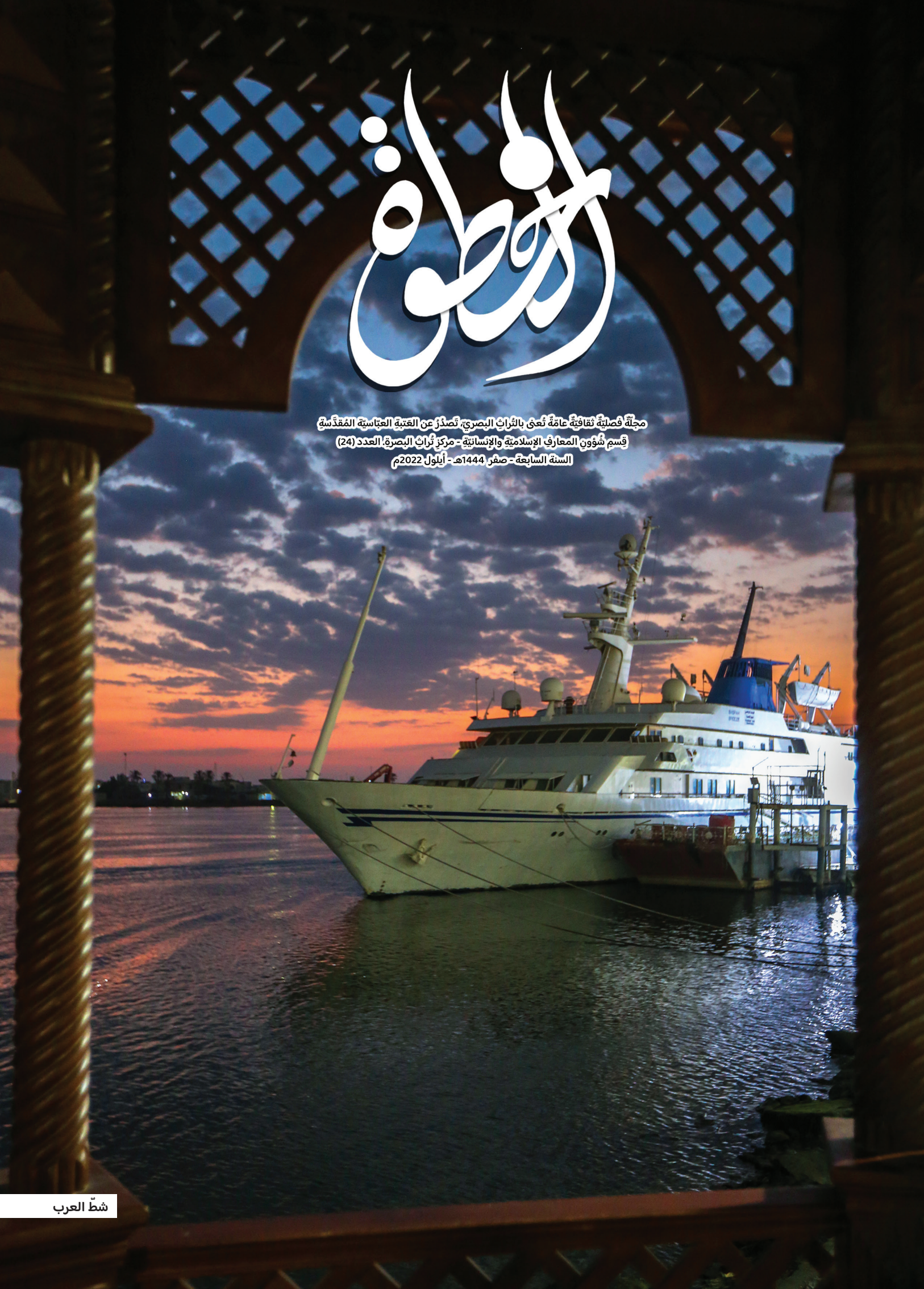
الرقطة

مجلّة فصليّة ثقافيّة عامّة تُعنى بالتُراثِ البصريّ، تَصدُرُ عن العَتبةِ العبّاسيّة المُقدّسةِ
قِسمِ شُؤونِ المعارفِ الإسلاميّةِ والإنسانيّةِ - مركزِ تُراثِ البصرةِ، العدد (24)
السنة السابعة - صفر 1444هـ - أيلول 2022م



شطّ العرب



مضيف عربي أثناء الإنشاء بريشة الفنان (رعد الحجاج)

كلمة العدد

نحوَ تُراث بصريٍّ أعمق

ما تزال (الخطوة) مستمرّةً في عملها على نهجها الذي اختطّته في بداية صدورها، في فتح فضاءاتٍ رحبةٍ، مبتعدةً بعض الشي عن النمط المألوف في العمل الإعلامي؛ وذلك بمدِّ جسور الفكر والمعرفة والثقافة بينها وبين الباحثين والمفكّرين والكتّاب والأدباء والشّعراء، وغيرهم من الذين يحملون همَّ البصرةِ وتراثِها، وكيفيّة إيصال هذا التراث إلى الأجيال وهو خالٍ من الشوائب التي عِلقت به عبر الزّمن، فكم نحن بحاجة لتشخيص الايجابيّات الكامنة في تراثنا والحفاظ عليها، وتشخيص السلبيّات؛ للخروج منها بحلٍّ يؤسّس لمرحلة جديدة من الثقافة.

ومن خلال زوايا (الخطوة) سنتعرّفُ على كتّابٍ، وأدباءٍ، وشعراءٍ، ومفكّرينَ، ومثقّفينَ لهم وُجهاتُ نظرٍ متنوّعة، وآراءٌ وأفكارٌ في فهم التراث، وكلُّها آراءٌ وأفكارٌ لها قيمتها العلميّةُ، مع أنّنا قد نتّفق معها وقد نختلف، أو مع بعضها على الأقل، لكنّها تبقى غايةً في الأهمّيّة ؛ لأنّها تحمل لنا رسائلَ مهمّةً علينا قراءَتُها بإمعان؛ كي نعرف كيف يفكّر الآخرون، وما الذي يطرحون من آراء للتعبير عن وجهات نظرهم وفهمهم للتراث ونواحيه.

إنّ الإنجاز الذي حقّقته (الخطوة) خلال سبع سنين من عملها الدؤوب ليس فعلاً فرديّاً، بل هو نتيجةُ تظافر جهودٍ حثيثةٍ مضنيةٍ من العاملين في هذه المجلّة الفتيّة كافّة، وقد عَمِلَت خلال هذه الفترة بجديّة؛ لتستوعب المشهدَ التراثيَّ البصريَّ ببعده الفكريّ، وسارت بثقة ووعي نحو هدفها المنشود، وهو الوصول إلى المثقّف البصريّ، سواءٌ أكان كاتباً، أم ناقداً، أم شاعراً، أم باحثاً؛ لنقل أفكاره وعطائه الفكريّ إلى القارئ المحترم.

والله ولي التوفيق

اقرأ في هذا العدد...

٦ رئاسةُ قسم المعارف في رِحاب مَركز تُراث البصرة

١٠ مركز تُراث البصرة ينظّم دورةً تخصّصيّةً في فنَّي التحقيق والفهرَسة

١٨ الأسر العلميّةُ في المَدِيْنة (جزائر البصرة)

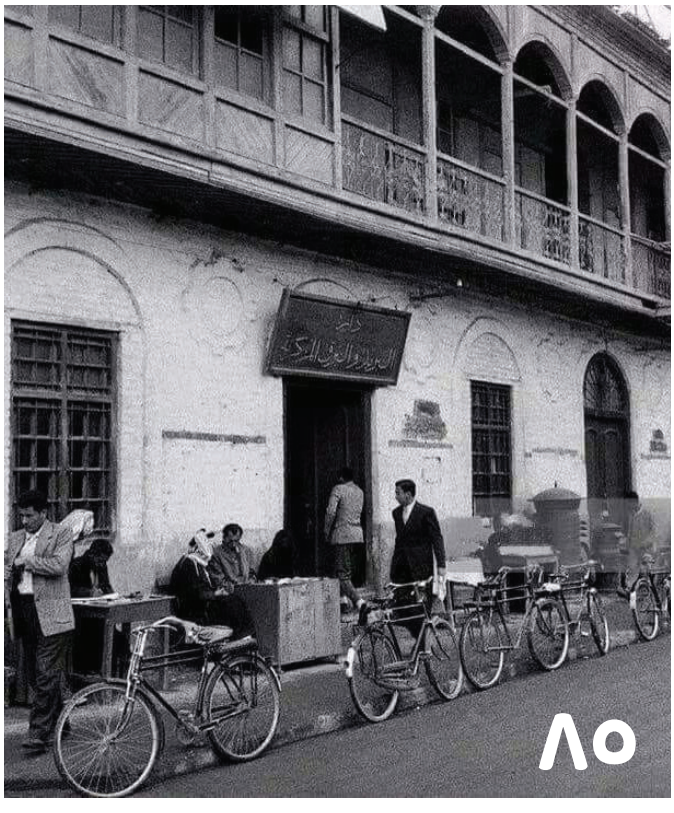
٢٢ صَعاليك البَصرة مالك بنُ الرّيب التميميّ

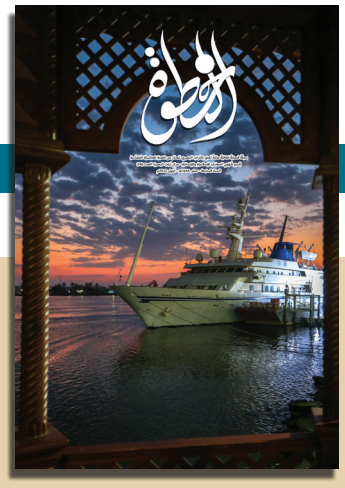
٣٤ زَرْزور أبو الحَبّ

٦٦ أبانُ بنُ عثمان، أبو عبدالله البجليّ المعروف بالأحمَر

٨٥ دائرة البريد والبرق المركزيّ في العَشّار







مجلّةٌ فصليّةٌ ثقافيّةٌ عامّةٌ تُعنى بالتُراثِ البصريّ، تَصدُرُ عن العَتبةِ العبّاسيّة المُقدَّسةِ - قِسمِ شُؤونِ المعارفِ الإسلاميّةِ والإنسانيّةِ - مركزِ تُراثِ البصرةِ. العدد (٢٤) - السنة السابعة.
صفر ١٤٤٤هـ - أيلول ٢٠٢٢م

رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين العراقيين ١٩٧٢

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد
(٢٠٨٧) لسنة ٢٠١٥م

المشاركون في هذا العدد

الشيخ علي الغزّي - الشيخ الدكتور محمود العيداني - د. عبد الجبار الحلفي - أ.د. شكري ناصر عبد الحسن - أ.د رحيم حلو - أ.د. نجم الموسوي - د. عباس المرهون - د. أحمد الطائي - د. حيدر شهيد -د. مشتاق عيدان اعبيد - الأستاذ حسين العطية - الأستاذ مسلم الشّاوي - الأستاذ كريم علاوي - الأستاذ عادل علي عبيد - الأستاذ محمد صالح عبد الرضا - الأستاذة حميدة العسكري - الأستاذ حيدر الخفاجي - علي سلمان - علي حسين سعودي - مريم محمود - محمد البصري.

الإشراف العـــام
الشّيخ عمّار الهلالي

رئيـس التحريـــر
ياسين يوسف اليوسف

مدير التحريـــر
الدكتور عامر السّعد

سكرتير التحريـــر
محمّد ثائر الزيدي

هيأة التحريـــــر
الشيخ مُدرِك الحسّون - د.أشرف عبد الحسن - عبد العزيز مسلم

الإشراف اللغـــوي
لجنة الإشراف اللغويّ في المركز

التصوير
أحمد عبد العبّاس - أمير جاسم العاشور

التصميم والإخراج الفني
محمّد شهاب العلي

عناوين المجلة
العراق- البصرة- البراضعيّة - شارع سيّد أمين
٠٧٨٠٠٨١٦٥٧٩
basrah@alkafeel.net
ص.ب/٣٢٣

الموقع الإلكتروني
mk.iq

تنويه:

ماننشره هنا كلُّ ما يُلفت، وليس بالضرورة أن نكونَ موافقين عليه. كن شجاعاً، وأبْدِ رأيَك.

ضمنَ برنامجها التفقّديّ الدَّوريّ؛
رئاسةُ قسم المعارف في رِحاب مَركز تُراث البصرة



زارَ رئيسُ قسمِ شؤونِ المعارفِ الإسلاميّةِ والإنسانيّةِ في العتبةِ العبّاسيّة المقدّسة، فضيلةُ الشّيخ عمّار الهلاليّ (دام توفيقه) مركزَ تُراثِ البصرة، التابعَ للقسمِ المذكورِ؛ من أجلِ الاطّلاعِ على آخرِ نشاطاته ومتابعةِ أعماله كافّة، والتباحث حول المشاريع التحقيقيّة والتأليفيّة، وما يدور في أروقة المركز من قضايا وأمور، وبعد ذلك قام الهلاليّ بالتجول على الوحدات، واطّلع على أعمالِ كلِّ واحدةٍ منها بالتفصيل.



تأتي هذه الزيارة ضمن برنامج رئاسة القسم؛ للوقوف على أهم الأعمال والمنجزات في المراكز التابعة للقسم.

من جانبه قدَّم المركز بالغ شكره وتقديره لجناب الشيخ الهلالي على هذه الزيارات المستمرة و هذا الاهتمام الكبير.



مشاركةٌ فاعلةٌ ومتميّزةٌ للعتبة العبّاسيّة المقدّسة في معرض البَصرة الدّولي الشّامل

بحضورٍ مميّز ولافتٍ للأنظار، شاركت العتبةُ العبّاسية المقدّسة ممثَّلةً بعددٍ من شركاتها وقطّاعاتها الإنتاجيّة، في فعّاليات معرض البصرة الدوليّ الشامل (دورة المعرض التجاريّ)، الذي نظّمته الشركةُ العامّة لموانئ العراق على أرض ميناء المعقل، بمشاركة ١٢ دولةً و ١٢٠ شركةً تجاريّة من ضمنها شركات محلّيّة.

المشاركةُ في هذا المعرض كانت عبرَ شركة خيرِ الجود لتكنولوجيا الزراعة والصناعة الحديثة، وشركة الكفيل للاستثمارات العامّة، ودار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، وشركة نور الكفيل للمنتجات الغذائيّة والحيوانيّة ؛ لبيان قدرات وكفاءة الصناعة العراقيّة في هذه المجالات، التي هيمنت عليها المُنتَجات المستورَدة، وكان من أهداف المشاركة -أيضاً- تبادل الخِبرات بين الشركات ذوات الاختصاص.

وقد اتّسم جناحُ العتبة العبّاسية المقدّسة بتنوّع ما تمّ عرضُهُ فيه من نتاجاتٍ كلٌّ حسب تخصّصه الإنتاجيّ، وتأتي المشاركة في هذا المعرض إسهاماً منها في إظهار إبداعات هذه الشركات في مجال تطوير الخِدمات، وللتعريف بما تقوم به في تحقيق الاكتفاء الذاتيّ لمخرجاتها، إضافةً إلى الاطّلاع على ما يتمّ عرضُهُ من قِبل الشركات المشتَرِكة في



المعرض؛ لكون ذلك يُعدّ فرصةً مهمّةً للتواصل مع الشركات المحلّية والدوليّة المشارِكة فيه.

يُذكر أنّ المشاركةَ في هذا المعرض تأتي استمراراً لسلسلة مشاركاتٍ سابقة، تهدف من خلالها العتبةُ العبّاسية المقدّسة إلى تأكيد دعم المُنتَج الوطنيّ وكفاءته، واستثمار العقليّة العراقيّة؛ لأجل المُضيّ بالخطوات الواسعة والمدروسة التي خَطَتها هذه الشركاتُ المؤكِّدة على هذا المضمون.

وحدةُ الاعلام في مركز تُراث البصرة التابع لقسم شؤون المعارف الاسلاميّة والانسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة زارت المعرضَ، وسجّلت هذه اللقاءات مع السادة مسؤولي هذه الأجنحة المباركة، والتقت في البداية بمسؤول قسم الإعلام في شركة خير الجود، الأستاذ (حسّون محمد)، الذي بيَّن قائلاً: إنّ هذه المشاركة هي مشاركتنا الرابعة في معرض البصرة الدوليّ الشامل، وفي كلّ عام نلحظ ازدياداً في الإقبال على منتجات الكفيل؛ للجودة العالية التي تمتاز بها هذه المنتجات، وانخفاض أسعارها قياساً للجودة التي تتمتّع بها.

واضاف قائلاً: إنَّ شركتنا كباقي شركات وقطّاعات العتبة العبّاسيّة المقدّسة ليست شركة ربحيّة، بل جاءت لدعم المنتج المحلي.

المهندس فلاح الفتلاويّ، مديرُ تسويق ومبيعات الشركة، بيّن من جانبه أنّ الشركة باتت تنافس الماركات العالميّة بخبراتٍ وانتاجٍ عراقيّ خالص، وللشركة بَصمتُها الواضحةُ في الكثير من المحافظات العراقيّة، وخاصّة مدينة البصرة العزيزة.

وأضاف: ما جعلنا نصلُ إلى هذا النجاح هو فضل الله تعالى، والتوجيهاتُ السديدة والرعايةُ الكبيرةُ لسماحة المتولّي الشرعيّ للعتبة العبّاسيّة المقدّسة (دام عِزّه)، علاوة -طبعا- على الكفاءات العراقيّة، التي أثبتت نجاحَها وابداعَها في الكثير من المجالات.

وأمّا الاستاذ محمّد فارس، المسؤول الإعلاميُّ في شركة نور الكفيل للمنتجات الحيوانيّة والغذائيّة، فتحدَّث لنا قائلاً:

تعدُّ شركةُ نور الكفيل للمنتجات الحيوانيّة والغذائيّة التابعة للعتبة العبّاسيّة المقدّسة من الشركات الرائدة في الانتاج الحيوانيّ والغذائيّ، التي رفدت السوق العراقيَّ بمختلف أنواع المنتجات الحيوانيّة والزراعيّة ومنتجات الألبان ذات الجودة العالية والأسعار المناسبة، ممّا يعين المواطن البسيط على أمور حياته.

وقد سَعَت الشركةُ بفضل ودعم وتوجيه السيد المتولّي الشرعيّ للعتبة العبّاسيّة المقدّسة، سماحة السيّد احمد الصافي (دام عزه) - نحو الاعتماد على المنتج الوطنيّ، وتشجيع المشاريع الوطنيّة، واستثمار الطاقات الشبابيّة داخلَ الشركة، وترجمة أفكارهم الى مشاريعَ تخدمُ المواطنَ، ونحو السعي للنهوض بالواقع الإنتاجيّ الوطنيّ؛ من خلال إنشاء المعامل المحلّيّة أو التعاقد معها؛ من أجل استيعاب وتشغيل أكبر عدد من الايدي العاملة الوطنيّة، وتوفير فرص العمل للكثيرين.

من جانبه، بيَّن الأستاذُ مصطفى نعمة محمد، مسؤولُ الإعلام الإلكترونيّ في شركة الكفيل للاستثمارات العامّة، أن

مشاركتهم هي الأولى في البصرة، وأنَّ الشركة تعمل لتحقيق أمن اقتصاديٍّ متكامل لرفاهية المستقبل.

وأضاف: كانت مشاركتُنا بالعديد من المنتجات الغذائيّة، منها: العسل الطبيعيّ الخالص، وبيض المائدة، وبيض طائر السمّان، الذي يمتاز بقيمته الغذائيّة العالية، وغيرها من المنتجات.

يُذكر أنّ للشركة عدّةَ مشاريع مستقبليّة، منها:

- مشروع إنشاء معمل لإنتاج الهياكل المعدنيّة.
- مشروع خلايا الطاقة الشمسيّة.
- مشروع إنشاء معمل مزج وتصفية وتعبئة الزيوت الصناعيّة.
- مشروع إنشاء معمل أعلاف الدواجن.
- مشروع إنشاء مَجرَشة ومعمل تعبئة لانتاج رزّ العنبر.
- مشروع حقول الدواجن لإنتاج بيض المائدة.

وغيرها من المشاريع التي تدعم المنتج المحلّيّ وتحقّق الأمن الاقتصاديَّ للبلد.

ختام الجولة كانت في جناح دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، ولقاء مسؤول العلاقات في دار الكفيل، الأستاذ دريد النجّار، الذي بيّن الدورَ الفاعلَ الذي تقوم به دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، من خلال الجودة العالية في الطباعة؛ فقد أثبتتْ كفاءَتَها على أرض الواقع من خلال طباعتها الكتب والإصدارات بمختلف تخصّصاتها، إضافةً الى المناهج الدراسيّة، وتسليمها الى وزارة التربية قبل الموعد المحدّد، فضلاً عن إنجازها أعمالاً أُخَر كثيرةً تهدف الى دفع حركة الكتابة والعمليّة الثقافيّة.

وأضاف: "لم تقتصر دارُ الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع على طباعة الكتب، بل توسّعت الى أكثر من ذلك؛ من خلال التعاقد مع جهاتٍ حكوميّة وغير حكوميّة، باستخدام أوراق وأحبار صديقة للبيئة تستورد خصيصاً"، مشيراً الى أنّ الدار تمتلك التقنيّات الحديثة والخبرات الكافية، ممّا يؤهّلها لإنجاز الكثير من الأعمال، وقد استطعنا من خلال رؤية واضحة وخطط رصينة أن نسابق الزمن، وأن ننجز مدينةً طباعيّةً متكاملة بوقت قياسيٍّ، وتمتاز بالجودة والسرعة في إنجاز العمل وبأسعار تنافسية في الوقت نفسه.





مركز تُراث البصرة

ينظّم دورةً تخصّصيّةً في فنَّي التحقيق والفهرَسة

لأجل إعداد مجموعة من المختصّين في مجال فهرسة المخطوطات وتحقيقها، ومزيد من النهوض بالواقع الفكريّ للتراث البصريّ المخطوط؛ نظَّم مركزُ تراث البصرة، التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة، دورةً تخصّصيّةً في مجال تحقيق المخطوطات وفهرستها، بمقرّه الكائن في البراضعيّة - شارع سيّد أمين، وكانت الدورة على شكل محاضرات استمرّت عشرةَ أيّام بمشاركة مجموعة من طلبة العلوم الدينيّة، وأساتذةٍ من جامعة البصرة، ووحداتِ المركزِ المختصّة بالتأليف والتحقيق والفهرسة، وبعض الشخصيّات المهتمّة بالتراث المخطوط، فضلاً عن بعض المهتمّين الذين شاركوا عبر منصة (zoom).

وبيّن المحاضرُ الأستاذُ (أحمد الحلّيّ) أنّ هذه المحاضرات هي الأولى من نوعها في هذا المجال، وأنَّ الغرض منها رفعُ كفاءة المختصّين والمهتمّين بالتراث المخطوط؛ إذ يمكنها تهيئة كوادر لها القابليّة على التعامل مع المخطوطات ومعرفة أسرارها.

وأضاف: عند اكتمال المحاضراتِ، سيتمكّن المشاركون من التعرّف على الكثير من المفاهيم الخاصّة بهذا المجال، مثل: وقفيّات النسخ الخطّيّة، وأختامها، وحواشيها، وكيفيّة كتابة مقّدمة التحقيق، وحَرْدِ النسخ، ورموزها، وكيفيّة تقييم النسخ الخطّيّة.

وفي ختام الدورة، منح المركزُ المشاركين شهادات مشاركة؛ تثميناً لهم على جهودهم ومشاركتهم



منتدى الجزائر الثّقافيّ
في ضيافة مَركز تراث البَصرة

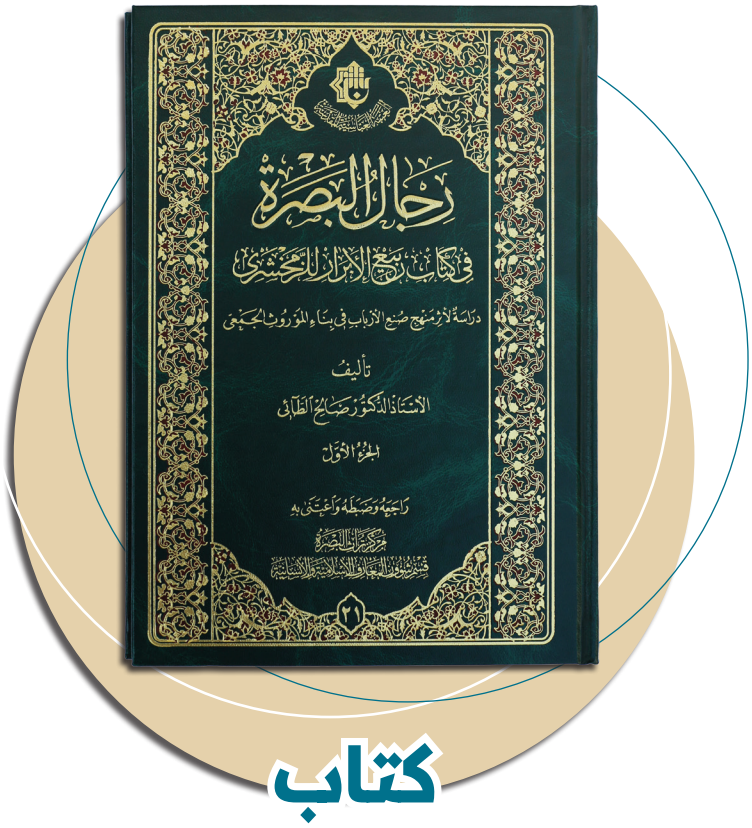
زار وفدٌ من (منتدى الجزائر الثقافيّ) مركزَ تراث البصرة التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة؛ لبحث آفاق التنسيق والتعاون المشترك لخدمة الثقافة والتراث البصريّ، والارتقاء بالواقع الثقافيّ للمحافظة.

وقد استمع أعضاء الوفد الزائر الى شرحٍ وافٍ لعمل المركز ونشاطاته الثقافيّة، وعبّروا عن سرورهم بما شاهدوه من نتاجاتٍ فكريّة غزيرة، تعكس تراثَ المدينة العريق، وتنمُّ عن عمق التراث البصريّ وأصالته.

من جانبه، أكّد المركزُ دعمَه لجميع المؤسّسات الثقافيّة التي تسعى لخدمة مدينة البصرة وتراثها الأصيل، ومدّ جسور التعاون معها؛ من أجل النهوض والارتقاء بالواقع الثقافيّ للمدينة.



وفي ختام الزيارة، قدّم المركزُ مجموعة من إصداراته للضيوف الكرام من المنتدى المذكور، متمنياً لهم النجاح في عملهم.



كتاب (رجال البصرة في ربيع الأبرار للزمخشريّ) يُبصرُ النورَ

صدرَ حديثًا عن مركز تراث البصرة التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة في العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، كتابُ (رجال البصرة في كتاب ربيع الأبرار للزمخشريّ، دراسةٌ لأثر منهج صُنع الأرباب في بناء الموروث الجمعيّ)، من تأليف الأستاذ الدُّكتور (صالح الطائيّ).

وقدْ جاء هذا الكتابُ على جزئين، كلُّ جزءٍ على مباحثَ تُعنى بالسِّيرة العامّة للمترجَم لهم من الرِّجال البصريّين الذينَ وردُوا ضمنَ كتاب (ربيع الأبرار) للزمخشريّ، عن طريق الرّجوع إلى أُمَّهات المصادر والمراجع التي تُعنى بشأن الرِّجال، ثمّ تُستخلص إضاءة ختاميَّة واضحة لتُعطي تلك الإضاءات المعنى الذي وُضع الكتابُ مِن أجله.

وموضوع البحث هو محاولة لتفكيك حالة دينيَّة، سياسيَّة، مجتمعيَّة، تاريخيَّة؛ وذلك بالغوص في جزئيَّاتها للوصول إلى حقيقة ما نمرُّ به اليوم، فالمعروف أنَّ قيمَ الشُّعوبِ وأخلاقها وعاداتها وتقاليدها ليستْ أكثر من موروثٍ تتناقله الأجيال عَبر تاريخها، وتُضاف إليه المستجدَّات والطوارئ، ولكنّه يبقى قائماً أُنموذجاً مقتبساً ممّا تركه الأقدمون، بما يعني أنَّ ما نمرُّ به اليوم هو نتاج مئات السِّنين من التجارب والخيبات والنجاحات والمماحكات والصِّراعات؛ التي خُلطت في بوتقة التاريخ، ثمّ أسهمتْ زبدتها في بناء منظومة موروثنا العقديّ والإيمانيّ.

والجدير ذكرُه أنَّ الكتابَ قدِ اشترك بالمسابقة الدوليَّة الأُولى للكتاب البصريّ التي عقدها مركز تراث البصرة فيما سبق، وحاز المرتبة الثانية فيها.



جامعُ الميرزا: أنموذجٌ من التُراث الإسلاميّ في البصرة

د. عباس المرهون- د. أحمد الطائي[1]

تأريخُ التأسيس

يمكن إجمالُ تأريخ تأسيس الجامع ومراحل إنشائه وإعادة بنائه وتجديده وأئمة الجُمُعة والجماعة فيه - باعتبارهم المؤسّسين والمتولّين على الجامع منذ تأسيسه لغاية اليوم - على النحو الآتي:

أُسّس الجامعُ عام ١٨٨٩م[2]، عندما جاء السيّد الميرزا حسين جمال الدين[3] (١٢٥٩هـ -١٣١٨هـ) – رحمه الله- إلى البصرة واتّخذها موطناً، ويُنقل أنّه نزلها بعد وفاة أكبر إخوته، وهو الميرزا محمّد، الذي توفّي في حياة والده السيّد ميرزا علي جمال الدين (١٨٠٥-١٨٥٨م)[4]، ومعنى هذا: أنّ المسجد مؤسّسٌ قبل سنة ١٨٥٨م، ولكنّ الراجح هو الأوّل، أي: أنّ تاريخ التأسيس هو سنة ١٨٨٩م؛ فالميرزا حسين هو مؤسّسُ الجامع ومتولّيه الشرعيّ، وأوّلُ إمام للجُمُعة والجماعة فيه، لذا، يفخر هذا المسجدُ باستمرار إقامة صلاة الجُمُعة فيه لما يزيد على مائة سنة؛ ابتداء من عام ١٨٨٩م إلى يومنا هذا.[5]

مساحة المَسجد

تقدّر مساحة المَسجد الكلّيّة- آنذاك- بـــ ٥٠٠م٢،فكانت مساحة الحَرَم٢٥٠ م٢ بطابق واحد، وأمّا الـ ٢٥٠م٢ الأخرى، فتشمل المَدخلَ والمُلحَقات (الحمّامات، والمغتسل[6]والمطبخ)، وكان بناؤه إبّان تلك المدة من الطين (اللِبن)، وسقفُه من البواري وجذوع النخيل. وفي عام (١٣١٨هـ)، أي: بحدود عام ١٩٠٠م، انتقل الميرزا حسين جمال الدين إلى رحمة ربّه الواسعة، ودُفن في ذي قار سوق الشيوخ كرمة بني سعيد، حيث وافته المنيّة في مسقط رأسه (رحمه الله).[7]



أئمّة المسجد

بعد وفاة الميرزا حسين، تسنّم إمامةَ المسجد ولدُه العلّامة السيّد ميرزا محمد تقي جمال الدين (١٢٨٨هـ-١٣٥٧هـ) في حدود عام ١٩٠٠م، وكان عمرُه آنذاك ٢٨ سنة، وهو (من علماء البصرة المعاريف في عصره)[٨]، قام بوظيفته إماماً للجمعة والجماعة في هذا الجامع، ومرشداً وموجّهاً للناس، وكان يقيم صلاة الجماعة في أوقات الصلاة جميعها، ولاسيّما صلاة الفجر، توفّي السيّدُ عام (١٣٥٧هـ)، أي: عام ١٩٣٧م، عن عمر ناهزَ ٦٩ عاماً، ودُفن في البصرة في المقبرة المعروفة بمقبرة إبراهيم الخليل، وعرفت بعدئذٍ بمقبرة الميرزا، وشُيّدت على قبره قبّةٌ لا زالت شامخةً لحدّ الآن.[٩]

وقام مقامَه ولدُه العلّامة السيّد ميرزا عبّاس جمال الدين (١٩١١م- ١٩٧٨م)، وقد نشأ السيّد في البصرة، وترعرع فيها بكَنَف والده، وانتهل من علمه الزاخر، هاجر إلى النجف سنة ١٩٢٣م لدراسة العلوم الدينيّة، ولم يتركها حتّى وفاة والده في عام ١٩٣٧ م، أُصيب الميرزا عباس - رحمه الله- في العام ١٩٧٦ بمرض عضال اضطرّه للعلاج في مستشفيات بغداد، وقد لبّى نداء ربه في عام ١٩٧٨ م، ودُفن في كربلاء المقدّسة بجوار جدّه الشهيد الإمام الحسين عليه السلام، في الحسينيّة التي أسّسها هناك، الموسومة بحسينيّة موكب ربيعة [١٠].

وكان له ديوان[١١] خاصٌّ يتّصل بداره المطلّة على محلّة المجصّة [١٢](أبو الحسن)، وهي وقفٌ تابع للمسجد.

عِمارةُ المسجد

عندما كان الميرزا عبّاس - رحمه الله - إماماً ومتولّياً للمسجد، توجّه لعمارته؛ ففي عام ١٩٤٧ استُبدل سقفُه القديم بما يعرف آنذاك بالقوق (الجندل)، عن جذوع النخيل والبواري [١٣].

أُعيد بناء الجامع (الحَرَم والمَدخل فقط) في عام ١٩٦١ على نفقة الوجيه الحاجّ محسن أحمد غريب، وبإشراف الميرزا عبّاس (رحمهما الله تعالى) بمادّة الطابوق، وسُقّف بالكونكريت، وبُنيتْ فوق مدخله منارة بارتفاع ١٥ متراً تقريباً، وفي العام ذاته أنشئت مكتبةٌ عامّةٌ عُرفتْ باسم مكتبة الإمام الصادق عليه السلام، وقد شيّدتْ المكتبةُ فوق مُلحقات الجامع الصحّيّة (المغاسل والحمّامات) سابقاً، وكانت ملتقى طلبة العلم والباحثين، وقد شرع الميرزا عبّاس (رحمه الله) بإلقاء الدروس الدينيّة فيها ولا سيّما الفقهيّة وبشكلٍ يوميٍّ (صباحاً ومساء).

وقبل وفاة الميرزا عباس (رحمه الله) بعام، كلّف ولدَه العلّامةَ السيّدَ ميرزا فاضل جمال الدين (١٩٣٤- ١٩٩٥م) للقيام بإمامة الجُمُعة في المسجد، وابتداء من سنة ١٩٧٦، وقد التحق السيّد ميرزا فاضل بالحوزات العلميّة ينهل من منابعها في كربلاء المقدّسة ثمّ النجف الأشرف منذ عام ١٩٤٤م، وبقي في الأخيرة قرابة ثمانية وعشرين عاماً، عاد إلى البصرة عام ١٩٧٢م ليواصل المسيرة مع والده بطلب من أهالي البراضعيّة، فأصبح إماماً لجامع البراضعيّة الكبير يقيم صلاة الجماعة فيه، ويسكن في محلّة البراضعية كذلك، وطيلة هذه المدّة كان يحضر للصلاة يوم الجُمُعة خلف والده الميرزا عبّاس لغاية وفاة الأخير.

وبقي السيّد فاضل في عام ١٩٧٦ متنقّلاً بين مسجد البراضعيّة إماماً للجماعة فيه طوال الأسبوع، وبين جامع الميرزا يقيم الجُمُعة فيه فقط، وابتداءً من عام ١٩٧٨م، أي: بعد وفاة والده الميرزا عباس، قام بوظيفته إماماً للجُمُعة والجماعة راتباً في المسجد الجامع المعروف بـ (جامع الميرزا) في البصرة، وبعدها استوطن في محلّة أبي الحسن (السّيمر) في عام ١٩٨٠، ومارس مهامّه الدينيّة والثقافيّة في جامع الميرزا لحين وفاته.

بقي الميرزا فاضل (رحمه الله) في عقد الثمانينات في المسجد يؤدّي وظيفته في إقامة الصلوات ونشر الوعي الثقافيّ والعلميّ والدينيّ والأنشطة الدينيّة الأخرى، لغاية كانون الثاني ١٩٨٦ ؛ إذ أجبرته الظروف في تلك الفترة على مغادرة البصرة والإقامة في كربلاء المقدسة، إبّان التهجير الإجباريّ في الداخل في أثناء حرب الثمانينات، وفي هذا الوقت تعرّض المسجد للسرقة والنهب، ولاسيما الكتب والمخطوطات.

عاد السيّدُ إلى البصرة في ١/٩/ ١٩٨٧م، فبدأ بتنظيف المسجد وترميمه وإقامة الصلوات والفروض الأخرى فيه، فأُكسيتْ أرضيّة المسجد بالكاشي المَرمَر، وتوافرت وسائلُ التبريد المركزيّ لحرم المسجد، وبدأ عام ١٩٩٠ بالتوجيه لجمع التبرّعات بحجّة ترميم المسجد خشية أمن الدولة الذي يمنع ذلك، ولكنّ حقيقة الأمر هي توسعة الجامع وبنائه، ولكنّ الوضع الصحّيَّ لم يمهله طويلاً لإنجاز مشروع توسعة الجامع وإعادة بنائه ؛ إذ وافته المنيّة في ٢٥ شباط ١٩٩٥م عن عمر يناهز ٦١ عاماً، أثر نوبة قلبيّة في ليلة رمضانيّة من ليالي القدر المباركة، وشُيّع ودفن في كربلاء المقدّسة بحسب وصيته (رحمه الله).

آلتْ تولية المسجد وإمامةُ الجُمُعة والجماعة فيه عام ١٩٩٥الغاية اليوم إلى ولده السيّد ميرزا عقيل جمال الدين، وهو الولد الأكبر للسيّد الميرزا فاضل (رحمه الله)، وُلد في النجف الأشرف عام ١٩٦٣، التحق بالحوزة العلمية عام ١٩٩٥، وبالتحديد بجامعة النجف الدينيّة في النجف الأشرف، التي كان عميدها آية الله السيد العلّامة محمّد كلانتر(قدس سره).

بدأ السيّد عقيل العملَ في توسعة المسجد في عام ١٩٩٦ بإشراف المرحوم المهندس محمد جواد عبد الرضا التاوري؛ إذ قام الأوّل بما توافر لديه من أموال كانت قد جُمعت على عهد أبيه (رحمه الله) للغرض نفسه كما أشرنا سالفاً بالمباشرة في عملية تشييد للجامع، وتوسعة مساحته بضمّ المطبخ والحمّامات البالغة ٢٥٠م^{٢} وكان العمل على مراحل:


قبر العلامة الميرزا السيّد محمد تقي جمال الدين

المرحلة الأولى: شراء الدار المحاذية للمسجد من جهة اليمين، ومساحتها حوالي ٤٠٠ م٢.

المرحلة الثانية: هدم البناء القديم بالتدريج، ابتداء من المدخل وفوقه المنارة وملحقات الجامع والمطبخ والحرم، وكان ذلك بمساعدة المؤمنين وأصحاب الأيادي الكريمة، وبقي العمل مستمرّاً لغاية عام ٢٠٠١، حيث اكتمل المسجدُ بطابقين، تضمن الطابق الثاني مطبخاً كبيراً لإحياء المناسبات الدينيّة.

وهو الآن بناءٌ شامخٌ منيفٌ تعلوه قبّةٌ خضراءُ مزخرفةٌ بالكاشي الكربلائيّ، وبمساحة كليّة تبلغ ٩٠٠ م٢، بحيث أصبح المسجد يسع قرابة الألف مصلّ، ولازال يقصده العدد الكبير من المصلّين لأداء صلاة الجُمُعة.

خَدَمَة المسجد ومؤذّنوه

لقد كان في جامع الميرزا- كما هي بيوت الله -آفاقٌ روحيّةٌ تيّسر للإنسان أن يسمو بها، وينهل منها، وتجذبه



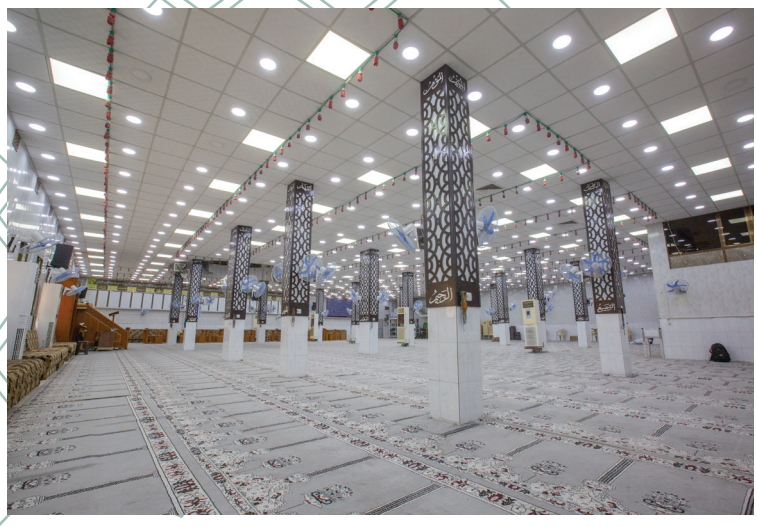
للمكوث فيه، فكان خَدَمة المسجد من المصلّين فيه كُثر، غير أنّ أبرزهم والراتبين للخدمة فيه هم:

الحاج علي الدوغجي، وخادم الجامع ومؤذّنه الحاج عبد علي السّواد، وابنه الأستاذ حامد، وخادم الجامع ومؤذّنه الحاج شهاب أحمد الجزيريّ أبو كاظم، والمؤذّن الحاجّ فالح أبو حسن، والحاج عبد الكريم، وخادم الجامع الحجّي عبّود أبو صادق، والحاج محمّد علي المولاني، وزاير محمود أبو شاكر، والشهيد الشاب المؤذّن علي مكّي، وقارئ القرآن والمؤذّن الأستاذ حسن الحدّاد، وغيرهم كثير، رحمهم الله تعالى.

وأمّا أشهر قرّاء التعزية، فمنهم:سماحة السيّد نور الدين الموسويّ الكاظميّ، وأخوه سماحة السيّد شمس الدين الموسويّ الكاظميّ، والملّا عبّود الدوغجيّ، والملّا عبد الهادي الرمضان أبو مّلا صالح، والملّا محسن يوسف أحمد، ومن الروّاديد: الشيخ حسين الرادود، والمّلا فاضل الرادود، والرادود الملّا حمزة الزغير، رحمهم الله تعالى.

زوّار المسجد:

زار المسجد عددٌ من الشخصيّات العلمائيّة الدينيّة والسياسيّة والأدبيّة، ومنهم: العلّامة المرجع الشيخ محمّد طاهر آل شبير الخاقانيّ، والعلّامة الشيخ سلمان الخاقانيّ، والعّلامة الشيخ محمّد جواد السهلانيّ، والعلّامة الميرزا السيّد إبراهيم جمال الدين، ورئيس الوزراء العراقي الأسبق عبد الرحمن البزّاز في حكومة عبد الرحمن عارف، والشاعر الدكتور السيّد مصطفى جمال الدين، والأستاذ كاظم خليفة، والأديب محمّد جواد جلال، والعلّامة الشيخ علي الصغير،والدكتور محّمد حسين الصغير، والسيّد مسلم الجابريّ، والشيخ محمّد الازيرجاويّ، والشاعر كاظم مكّي حسن، والصحفيّ جواد الشيخ حسين، والشاعر محمّد مصطفى جمال الدين، والشاعر السيّد عبد الأمير جمال الدين، والشيخ عبد الأمير الحسناويّ.



أنشطةُ المسجد

تقدّم أنّ صلاة الجُمُعة لم تنقطع من هذا المسجد، وتقام فيه كذلك صلاة الجماعة يوميّاً لفريضتي المغرب والعشاء، وتقرأ ختمةٌ قرآنيّةٌ بشكل جماعيّ كلّ يوم جمعة قبل الصلاة، وإحياء ليالي الجُمع بصلاة الجماعة وقراءة القرآن والأدعية والزيارات، وإقامة جميع مناسبات شهرَي محرّم وصفر، ووفيات الأئمة المعصومين وولاداتهم عليهم السلام.

وإنّ مراسيم إحياء عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام في المسجد خلال شهر محرّم تكون بواقع ثلاثة مجالس للتعزية صباحاً وعصراً وليلاً، وبعد الظهر في يوم عاشوراء يستقبل سماحة السيّد المعزّين باستشهاد جدّه، ويبقى الأوّل في استقبالهم إلى وقت الغروب.

ويشارك الجامع بموكب تعزية في أربعينيّة الإمام الحسين عليه السلام انطلاقاً من حسينية موكب ربيعة هناك إلى الحرم المقدّس، وكذلك موكب تعزية لأمير المؤمنين عليه السلام في وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، واستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، وذكرى شهادة الزهراء عليها السلام، انطلاقاً من حسينية موكب ربيعة في النجف الأشرف، التي أُسّست وأنشئت أخيراً إلى مرقد الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ومن فعاليات الجامع الراتبة في شهر رمضان إحياء لياليه بقراءة القرآن والأدعية والتعزية المستمرّة طوال الشهر الكريم، ولاسيّما إحياء أعمال ليالي القدر.

وغير ذلك من الأنشطة التي تقوم بها اللجنة الثقافيّة في الجامع، وإقامة الدورات الدينيّة المتخصّصة بتعليم القرآن وأحكام قراءته للأعمار كافّة، وإقامة مراسيم زيارات العتبات المقدّسة في العراق وإيران وسوريا، وزيارة بيت الله الحرام لأداء العمرة، وزيارة قبر رسولنا محمد صلى الله عليه وآله.

الهوامش

١- المعلومات تمّ اقتباسها من بحث مشترك حول الجامع للباحثين: الدكتور عبّاس فالح المرهون، والأستاذ احمد الطائي من جامعة البصرة.

٢- ينظر: الفكر السلفيُّ عند الشيعة الإثني عشريّة: ٥٣٥ الهامش رقم ٣ نقلاً عن (ثبت أسرة آل جمال الدين في البصرة)، وللمزيد ينظر: فلك المعارف الجاري مجرى الكشكول والطرائف: ٣٦٤ وما بعدها.

٣- قال الشيخ الطهرانيُّ في ترجمته: (هو الميرزا حسين ابن الميرزا علي ابن الميرزا محمد الأَخباريّ) المعروف، عالمٌ فاضلٌ كان جدُّه الميرزا محمّد من مشاهير علماء عصره، قُتل بمشهد الكاظميّين (عليهم السلام) في ١٢٣٢هـ وكان له ولدان، الميرزا أحمد، قتل معه، والميرزا عليّ والد المترجم له، وكان من الأجلّاء أيضا، توفّي عام ١٢٧٥هـ، أنجب عدّة أولاد منهم المترجَم له.. كان من أهل العلم والفضل، له آثارٌ، منها: (الدرُّ المنظوم في تقليد غير المعصوم)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٨ /٧٨.

٤- ينظر: النجف الثانية (سوق الشيوخ حاضرة العلم والأدب): ٣٥٢.

٥- ينظر: هداية الأبرار من فقه النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام: ٢٣٦.

٦- كان في الجامع محلٌّ لتغسيل الأموات، أُزيل لاحقاً بسبب الامتعاض الذي أظهره أهل المحلّة؛ لعويل أهالي الموتى وصراخهم بين البيوت، وكان ذلك سنة ١٩٦١ م.

٧- ينظر: هداية الأبرار: ٢٣٦

٨- هداية الأبرار: ٢٤٩.

٩- ينظر: الذكرى الخالدة لفقيد الإسلام، السيّد ميرزا عناية الله جمال الدين: ٢٢، والبصرة ولاتها ومتسلّموها مراقدها ومزاراتها الدينيّة: ٢٥١.

١٠-، ينظر: مجلّة الموسم، العددان(١٠/٩) ص ٦٢٦ بتصرّف.

١١- يُعرف بدوانيّة الميرزا، سيترجم لها لاحقاً.

١٢- ينظر: مجلّة الموسم، العددان(١٠/٩) ص ٦٢٦ بتصرّف.

١٣- لقاء مع متولّي جامع الميرزا، سماحة السيّد عقيل جمال الدين يوم ٢٠١٧/٥/١.

الأُسرُ العلميّةُ في المَدْيْنة (جزائر البصرة)

القسم الأول

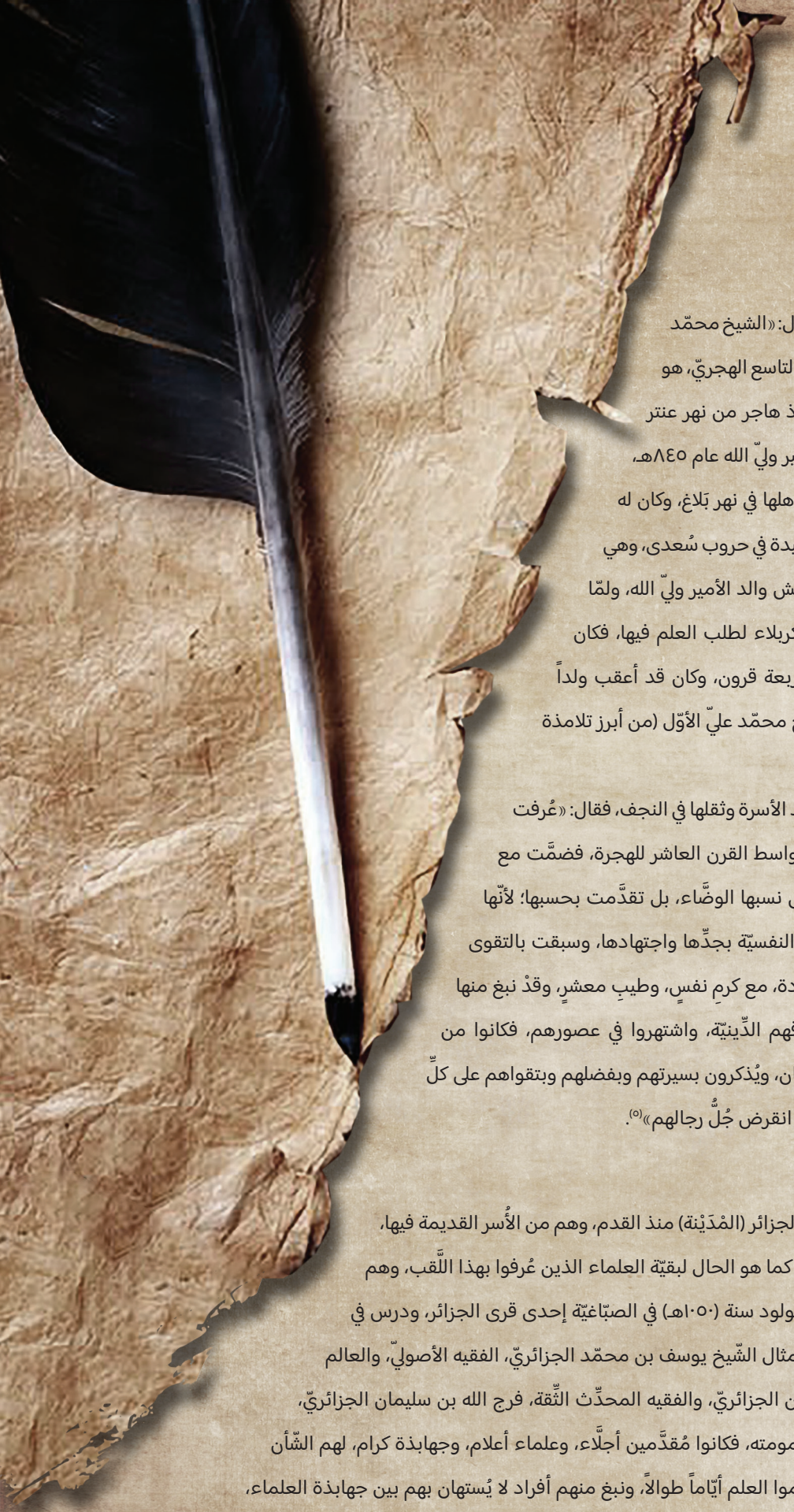
الباحث: مسلم عقيل الشاوي

تُعدُّ الأسرةُ الوحدةَ الاجتماعيّةَ الأصغرَ في المجتمع، وقدْ عدّها البعض الأساس لأيِّ بحثٍ اجتماعيٍّ شاملٍ لكلِّ مجتمعٍ سواء أكان محلِّيّاً أم عامّاً، ونتيجةً للنشاط الدّينيّ والوعي الثقافيّ، برز الكثيرُ من الأُسر العلميّة في المَدْيْنة (جزائر البصرة)، التي يُشهد لها بأكمل الدَّرجات وأرفعها، ومِن هذه الأسر:

- أُسرة آل بَلاغ

وهي أُسرةٌ سابقةٌ في العِلم والفضل والأدب، ومحلِّقةٌ بقوادم المَجد والسّؤدد، وعريقةٌ في العروبة، ومتقدِّمةٌ في الهجرة، تقطنُ النّجف من عهدٍ غير قريب، وهي من الأُسر العربيّة العراقيّة التي عُرفت بمقامها الجليل، ومركزها الدّينيّ السّامي، وترجع بنسبها إلى ربيعة[1]، وقد خرّجت الكثيرَ من العلماء والأدباء، وقد ذكرها الشّيخ كاظم الحلفيّ؛ إذْ قال: «إنّ جدّهم الأعلى الشّهيد بلاغ ابن جدِّنا الأمير وليّ الله أمير ربيعة، المتوفّى سنة (٨١٢هـ)، ابن الأمير درويش، المتوفّى سنة (٧٨٥هـ)، المنتهي لأسد بن ربيعة بن نزار بن عدنان، الجدّ الأعلى لرسول الله صلى الله عليه وآله[2].

أمّا عن الشّهيد بَلاغ (جدّ الأسرة)، فقد قال: «وهو أصغر أولاد جدِّنا الأمير وليّ الله، استُشهد في معركة الكباري في حروب طيء لربيعة في يوم (٢٢ شوّال عام ٨٤٥هـ)، التي استُشهد فيها جميع أولاد الأمير وليّ الله، وأكثر من (٣٠٠٠) قتيل. أُمّه (سُلمى بنت حسن) من شيوخ نهر بَلاغ في الشّمال الشّرقيّ للعراق، وقدْ دُفن الشّهيد بَلاغ مع أخوته في مقبرة خاصّة مجاورة لمقبرة جدِّنا الأمير صالح الأوّل، شهيد من أُمراء ربيعة، وللشّهيد ستّة عشر أخاً، وتسع عشرة أُختاً، أشهرهنَّ الأميرة (سعدى) المتوفّية عام ٨٧٢هـ، وفاطمة والدة السّادة البطّاط، وبسعدى هذه ينتهي أُمراء ربيعة من ذرِّية الأمير وليّ الله، وأخوتهم من الأحلاف»[3].



وأمّا عن مؤسِّس كيان الأُسرة العلميّ، قال: «الشيخ محمّد ابن الشّيخ بلاغ، من علماء كربلاء في القرن التاسع الهجريّ، هو أوّل مؤسِّس لكيان هذه الأسرة العلميّة، إذ هاجر من نهر عنتر بعد استشهاد والدهم الشّيخ بلاغ ابن الأمير وليّ الله عام ٨٤٥هـ، أخذته جدّته لأبيه (سُلمى بنت حسن) إلى أهلها في نهر بَلاغ، وكان له من العمر ثلاث سنوات، وقدْ ماتت أُمّه شهيدة في حروب سُعدى، وهي (علياء) ابنة الشّهيد حسن، ابن الأمير درويش والد الأمير وليّ الله، ولمّا بلغ السّادسة عشرة من عمره، هاجر إلى كربلاء لطلب العلم فيها، فكان المؤسِّس الأوّل لبيتٍ علميّ رفيع عاش أربعة قرون، وكان قد أعقب ولداً واحداً هو الشّيخ حسن والد العلّامة الشّيخ محمّد عليّ الأوّل (من أبرز تلامذة المقدَّس الأردبيليّ)»[٤].

وذكر لنا الشّيخ جعفر محبوبة عن تواجد الأسرة وثقلها في النجف، فقال: «عُرفت هذه الأسرةُ في النجف، واشتهر ذكرها في أواسط القرن العاشر للهجرة، فضمَّت مع سموِّ النّسب شرفَ الحسب، فلم تتّكل على نسبها الوضّاء، بل تقدَّمت بحسبها؛ لأنّها قدْ حازت على العلوم الرُّوحيّة والكمالات النفسيّة بجدِّها واجتهادها، وسبقت بالتقوى والصّلاح والإرشاد، وبرزت بالعبادة والزّهادة، مع كرمِ نفسٍ، وطيبِ معشرٍ، وقدْ نبغ منها رجال تقدَّموا في معارفهم، ومكارم أخلاقهم الدِّينيّة، واشتهروا في عصورهم، فكانوا من الرِّجال المعدودين الذين يُشار إليهم بالبَنان، ويُذكرون بسيرتهم وبفضلهم وبتقواهم على كلِّ لسان، وقد انقرض العلم منهم اليوم، كما انقرض جُلُّ رجالهم»[٥].

- أُسرة الجزائريّ (السّادة)

وهم من بيوت العلم العريقة، توطَّنوا الجزائر (المْدَيْنة) منذ القدم، وهم من الأُسر القديمة فيها، عُرفوا بـ (الجزائريّ) نسبة لموطن سكناهم كما هو الحال لبقيّة العلماء الذين عُرفوا بهذا اللَّقب، وهم ينتمون إلى السَّيّد نعمة الله الجزائريّ، المولود سنة (١٠٥٠هـ) في الصبّاغيّة إحدى قرى الجزائر، ودرس في مدارسها الدِّينيّة على يد أفاضل علمائها، أمثال الشّيخ يوسف بن محمّد الجزائريّ، الفقيه الأصوليّ، والعالم الفاضل الفقيه النحويّ، محمّد بن سليمان الجزائريّ، والفقيه المحدِّث الثِّقة، فرج الله بن سليمان الجزائريّ، وعُرف بهذا اللَّقب -أيضاً- أُخوته وأبناء عمومته، فكانوا مُقدَّمين أجلَّاء، وعلماء أعلام، وجهابذة كرام، لهم الشّأن والمكانة أينما حلّوا وارتحلوا؛ إذْ إنّهم خدموا العلم أيّاماً طوالاً، ونبغ منهم أفراد لا يُستهان بهم بين جهابذة العلماء، فهم من أفاضل المدرِّسين في الحوزات العلميّة، وما زالت هذه الأسرة لم يصبها الفتور في إنجاب العلماء، فما زالت بقاياهم العلميّة في العراق وإيران والهند وباكستان.

- أُسرة الجزائريّ (المشايخ)

أُسرة ذات علمٍ وفضلٍ وأدبٍ ونبلٍ وأخلاقٍ فاضلةٍ وسجاياً كريمةٍ، حازت من الشَّرف والسّؤدد والنفوذ الرّوحيّ، وقدْ جعلتْ نفسها وقفاً على التأليف والتدريس لإذكاءِ نورِ المعرفةِ بين أبناءِ قومِهم، فزخرتْ بحارُ معارفِهم، وأشرقتْ شموسُ علومِهم، وفاضتْ ينابيعُ أدبِهم، وهي أُسرةٌ عربيّةٌ ترجع بأنسابها لبني أسد، فهم من منبع الجزائر، وعُرفت بالشّيخ عبد النبيّ الجزائريّ (جدّ الأسرة)، بالرُّغم من وجود والد الشّيخ سعد الدِّين محمّد الجزائريّ[٦]، وعمّه الشّيخ شمس الدِّين[٧]، وكان الشّيخ عبد النبيِّ عالماً، فقيهاً، وهو ممّن درّسَ في الجزائر في نهر صالح، فتخرَّج على يديه أفاضلُ العلماءِ.

أمّا عن استقرارهم في النجف الأشرف، فقدْ بدأ في زمن حفيده الشّيخ أحمد (صاحب الآيات)، وهو من مشاهير علماء الشِّيعة، والمقدَّمين من رجالها.

وقدْ أنجبتْ هذه الأسرة المشاهير من العبّاد والعلماء والأدباء، كان لهم من الشّأن والاعتبار، فقد كان الشّيخ حسين (حفيد صاحب الآيات) يُقيم الجماعة في مسجد الخضراء، ويأتمُّ به من آل الجزائريّ ما يقرُب من ستِّين معمَّماً، ثمَّ جاء الطّاعون الجارف فأفناهم؛ كما حدَّث به بعض أُسرته[٨].

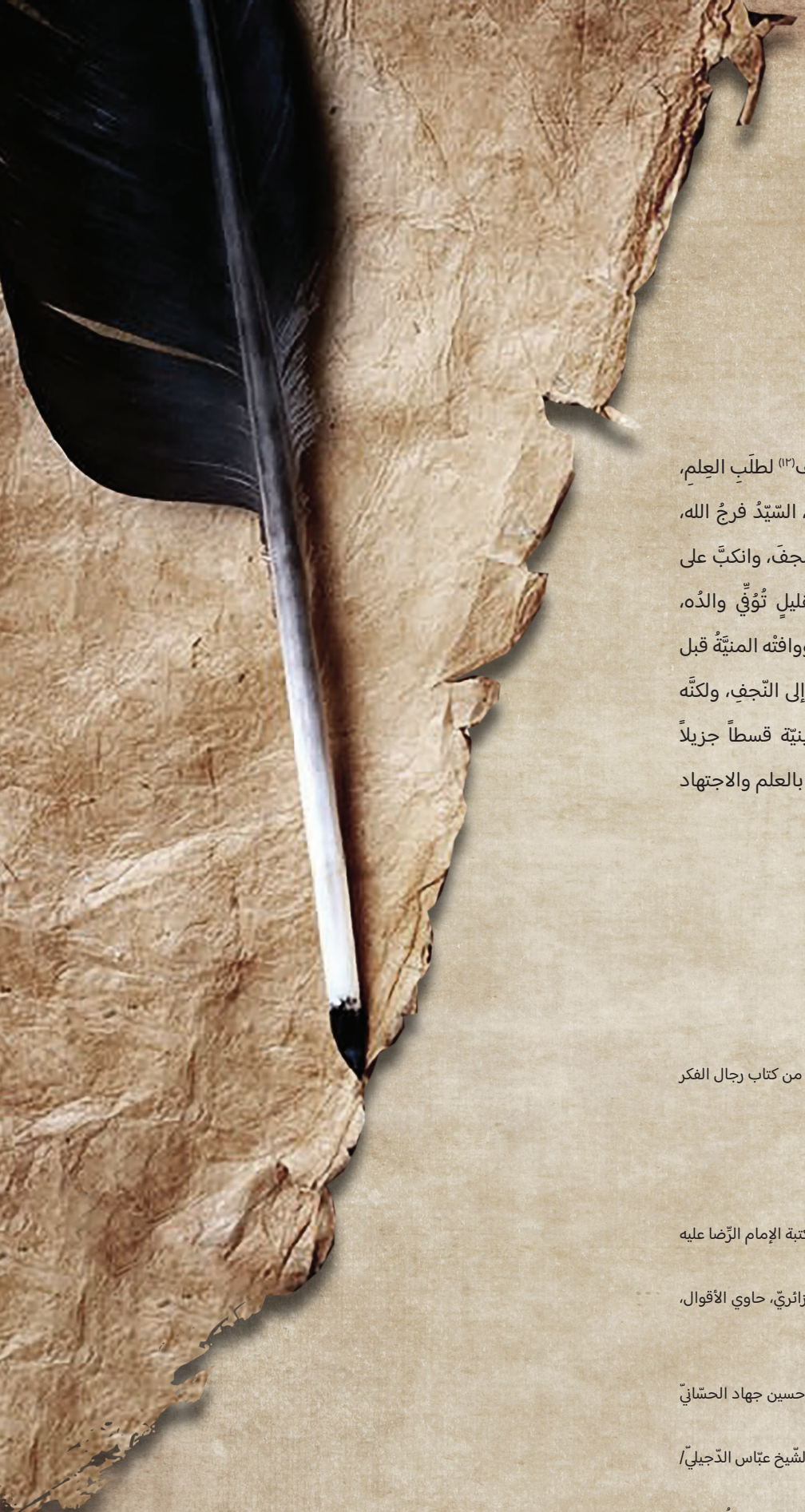
- أُسرة آل الشّيخ حسّان[٩]

وهي أُسرة عربيّة تعود أُصولها إلى ربيعة، وهي من بيوتات النّجف القديمة، ويعود استيطانها في هذه المدينة إلى حدود (٣٠٠) سنة؛ وذلك بعد أنْ نزح جدُّهم الكبير الشّيخ حسّان الرّبعيّ، وإليه ترجع تسمية الأسرة. وهو حسّان بن عوّاد بن مراد بن جبر بن طعمة ابن الأمير نعمة بن عبيد ابن الأمير عليّ (الذي قتله أفراسياب في ١٠٣٤هـ، في نهر عنتر)، منتهي النّسب إلى عدنان[١٠].

وتُشير المصادر التاريخيّة إلى أنّ محلَّ نزول ربيعة الأصل في البصرة في المْدَيْنة تحديداً في نهر عنتر، والملاحظ أنّ هذه المنطقة قدْ تلاحقتْ عليها الحروب والمعارك، فاضطرَّت الكثيرَ من الأُسر للنّزوح إلى المدن القريبة منها، ولمن يخصُّهم بصلةِ قرابة، وعندما اندلعتْ معركة مغامس، كان نصيب عوّاد (والد الشّيخ حسّان) وأولاده النّزوح بالقرب من أُخوته ربيعة الكوت، فبقي برهة من الزّمن، ووافاه الأجل فيها، فنزح أولاده من بعده إلى مناطق متفرِّقة من العراق، وكان نصيب الشّيخ حسّان بادئ الأمر في منطقة الهاشميّات (جديدة الشطّ)، أو الهاشميّة في الحلّة، إلّا أنّه لم يطبْ له المقام فيها، فانتقلَ إلى النجف الأشرف في العقد الثالث من القرن الثاني عشر، طالباً للعلم والمعرفة وهو على كبر عمره، توفّي في أواخر القرن الثاني عشر الهجريّ، وكان له من المال الكثير، ورثه من أبيه، فاشترى به دوراً وأراضيَ زراعيّة، وأوقفها في سبيل الله، وكانت له مكتبة عامرة بالمخطوطات النفيسة تلفت جميعُها، وهكذا سارت أُسرته على نهج العلم والأدب، فخرَّجت العلماء والفضلاء، وكانت مجالسُهم عامرة بالعلم والأدب، ولهم إسهاماتٌ كثيرة في نشر علوم آل البيت عليهم السلام والإصلاح وفعل الخير.

- أُسرةُ السّادةِ (الحُلُو)[١١]

من الأُسَرِ العِلميَّةِ الشَّهيرةِ التي سكنت الجزائر(المْدَيْنة) قديماً، وهم ممّن يَحمِلونَ لَقَبَ (الجَزائِرِيّ) أيضاً؛ فجَدُّهم الأعلى هو السّيّدُ فرجُ الله أخو السّيّدُ نعمة، والسّيّدُ نجمُ الدِّين، ابن السّيّد عبد الله الملقَّب بـ (الباهريُّ)، ابن السَّيّد محمّد بن الحسين بن أحمد بن محمود بن غياث بن مجد الدِّين بن نور الدِّين بن سعد الدِّين بن عيسى بن موسى بن عبد الله، ابن الإمام موسى بن جعفرعليه السلام، هاجروا إلى النجف لطلب العلم، إلّا أَنَّهم كانوا ولا يزالون يسكنونَ الجزائرَ، ولهم فيها بساتينُ نخلٍ واسعةٌ، وأراضٍ زراعيّةٌ واسعةٌ.



ومجموعُ بطونِ الأسرةِ ثلاثٌ، وهم:

١- آلُ سيّد سَلمان.

٢- آلُ سيّد طالِب.

٣- آلُ سيّد خَلَف.

وكانت للسّادةِ آلِ الحلوِ هجرةٌ إلى النجف[١٢] لطلَبِ العِلمِ، وكانَ أوّلُ مَن هَاجرَ إلى النجفِ هو جَدُّهُم، السّيّدُ فرجُ الله، وكان ذلك في حدود سنة (١٠٠٠هـ)، فسَكَنَ النجفَ، وانكبَّ على تحصيلِ العُلومِ الدّينيّةِ، وبعدَ هجرته بقليلٍ تُوُفِّي والدُه، فكثُرتْ أشغالُه وأسفارُه إلى وطنِهِ الأصليِّ، ووافتْه المنيّةُ قبل أن يَحصل على ما كان يتمنّاه من هجرته إلى النّجفِ، ولكنَّه خلَّف أولاداً وأحفاداً نالوا في العلوم الدّينيّة قسطاً جزيلاً وافياً، وبرزَ منهم عددٌ غيرُ قليلٍ، واشتهروا بالعلم والاجتهاد والتّقوى والصّلاح.

الهوامش

١- جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ٥٨/٢.

٢- كاظم الحلفيّ، اعرف نسبك- آل البلاغيّ: ص٣٦٧، من كتاب رجال الفكر والأدب من آل البلاغي.

٣- المصدر السابق نفسه.

٤- المصدر السابق نفسه.

٥- جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ٥٨/٢.

٦- بخطّه قطعة من التذكرة للعلّامة، محفوظة في مكتبة الإمام الرّضا عليه السلام، ذكرت بفهرسها: ١٨/٢، برقم: ٢٢٦٧.

٧- له حاشية على اللّمعة. يُنظر: الشّيخ عبد النبيّ الجزائريّ، حاوي الأقوال، مقدّمة التحقيق، ص٥٥.

٨- جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١٤٣/٢.

٩- اعتمدت هنا على ما أفادني به جناب الأخ الأستاذ حسين جهاد الحسّانيّ عن أسرته.

١٠- استفاد الأستاذ حسين جهاد الحسّاني من: مشجَّر الشّيخ عبّاس الدّجيليّ/ مخطوط.

١١- استفدت ممّا كتبه السّيّد خالد الحلو عن مختصر تعريفيّ لأُسرة آل الحلو.

١٢- محمّد عليّ جعفر التميميّ، مشهد الإمام أو مدينة النجف، قم، ١٤٣١#: ص٥٦٧.

صَعاليك البَصرة

مالكُ بنُ الرّيب التميميّ

﴿القسم الأوّل﴾

د. عامر السعد

لا يمكن النظرُ إلى (الصعاليك) من زاويةٍ واحدةٍ؛ فذلك يطمسُ الكثير ممّا في حقيقتهم من أبعاد اجتماعيّة وسياسيّة جعلت من حركتهم تمرّداً على تقاليدَ بالية، وسياسات ظالمة، وسلطاتٍ جائرةٍ لم تنظر إلى أبناء المجتمع بعين واحدة، بل كانت دائما تعوقُ طريقَ العدالة، وتوصدُ الأبوابَ بوجهها.

لقد أحسَّت تلك الجماعةُ بأنَّ وجودها لم يَعُد مقبولاً في نظر مَن يديرون شؤون القبيلة أو يتولّون مسؤوليّةً ما، وبأنّ حقوقَها لم تتحقّق على الوجه المطلوب، فارتفع صوتُها بالرفض والتمرّد، وراحت تضعُ لنفسها نظاماً ومبادئَ؛ لتجد في ظلّها وجودَها الذي كاد يغيبُ لأسباب لم تكن إنسانيّة؛ كأنْ تكون أمُّ أحدهم سوداءَ، أو أنَّ قبيلته قد خلعته من غير عدل أو انصاف، وإذا كانت الصعلكةُ في مدلولها اللغويّ تعني: الفقر، وأنّ الصعلوك هو الفقير الذي لا مال له، فذلك هو الأساس والمنطلق للتسمية؛ لأنَّ الصعاليك كلَّهم فقراءُ لا يجدون ما يسدُّ الرَّمق ولا ما يطفئ لوعَة العَوَز، ومع هذا، فإنَّ نظرتَهم لم تقتصرْ على أنفسهم فحسب، وإنّما كانوا ينظرون إلى غيرهم ممّنْ أوجعتهم الحاجةُ، ومسّهم الجوعُ، فما كان منهم إلّا أن يعلنوا ثورتهم التي هي ثورة الجياع والمحرومين ضدَّ محتكري المال، وناهبي الثروة؛ إذ ليس من العدالة أن يمتلك أحدهم ألف بعير وهناك من لا يجد سوى حبلا وليس فيه بعيرٌ، وقد عبّر عن هذا المعنى أحدُ الصعاليك، فقال:

(وإنّي لأستحْيِي من الله أن أُرى
أطوفُ بحبلٍ ليس فيه بعيرُ).

بهذا التوجُّه لا تبدو الحركةُ ضيّقةً تتمثّل في مصالح شخصيّة أو نفعيّة، وإنّما هي ثورةُ فقراءٍ اضطُهِدُوا فضاعت حقوقُهم بسبب هذا، وراحت الصعلكةُ تسيرُ في سياق نظامٍ كان يدعو إلى أخذ المال من أولئك البخلاء الذين أثراهم الجشع؛ ليجعلوا ممّا يأخذونه مُعيناً للمحتاجين، وطعاماً للجياع.

من هنا، كانت السلطات تلاحقهم؛ لأنَّ رجالَها يخافون على أموالهم وثرواتهم، لكنَّ الصعاليكَ لم يكونوا يعرفونَ الخوفَ؛ فهم على درجة عالية من الشَّجاعة، فلا يتردّدون في الخوض في غمار الأحداث مهما صعُبتْ أو كبُرت، ولا يخشون من الموت أبداً، وكانوا كذلك أصحابَ ثقافة

يُنبئُك عنها شِعرهم الحافلُ بصور البيان والفصاحة والمعاني الدقيقة التي لا تدعو إلى الحقدِ والبُغض ولا تؤجّج العدوانيّة، بل كانت تحمل قيماً إنسانيّة تدعو إلى إنصاف المظلوم، وبسط الرحمة للمحروم، وقد عبّروا عن ذلك في قصائدَ كثيرةٍ، نذكر منها قول زعيمهم عروةِ بنِ الوردِ، الذي ضربَ المثلَ الأعلى في الدفاع عن تلك المبادئ والقيم:

(أَتَهزَأُ مِنّي أَن سَمنتَ وَأَن تَرى
بِوَجهي شُحوبَ الحَقِّ وَالحَقُّ جاهِدُ
فَإِنّي اِمرُؤٌ عافي إِنائِيَ شِركَةٌ
وَأَنتَ امرُؤٌ عافي إِنائِكَ واحِدُ
أُوَزِّعُ جِسمي في جُسومٍ كَثيرَةٍ
وَأَحسو قِراحَ الماءِ وَالماءُ بارِدُ).

ما يُلاحظ في هذه الأبيات: النكران الواضح للذات، والإشعار بأنّه يعيش من أجل الآخرين في أعلى درجات التضحية والإيثار، وقد بدأ ذلك بالاستفهام الإنكاريّ (أتهزأُ)، متوجهاً فيه إلى من لا تهمّه إلّا نفسُهُ ممن ينظرون إلى الحياة على أنّها جشعٌ وطمعٌ وشبعٌ؛ لذا، تراهم يفخرون إذا سمنوا، وما تلك السُّمنة إلّا بسبب التفرّد في الزاد، وانعدام الإحساس بأنّ هناك حقّاً في أموالهم لمن هو في أمسّ الحاجة إليه، وهكذا، فهم يبنون شخصيّاتهم على أساس الاحتكار والتّخمة، ولا يمدّون نظرَهم إلى خارج حدودهم.

إنَّ هؤلاء المرفَّهين يسخرون من الوجوه التي علاها الشحوبُ، والأجسامِ التي أصابها الضّعفُ بسبب الحرمان وانحسار العدل والإحسان، وقد ذكر الشاعر في أبياته الثلاثة مسوّغاتِ ما عليه من المعاناة، وكان أوّلُها (شحوب الحق)، وكأنّه بهذه الإضافة قد جعل الثانيَ (المضاف اليه) تعليلاً للأوّل (المضاف)؛ لأنّ سبب الشحوب - كما ذكر الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ) في شرح ديوان الحماسة لأبي تمّام هو: توفّره على إقامة الحقوق وأدائِها في وجوهِها، وهو يرى أنّ هناك حقّاً لغيره في ما يحصل عليه من المال، وهو دائما في شِركةٍ في القوتِ والزّاد، وقد أحسن التعبير في قوله:

(أوزّعُ جسمي...) ولم يقل (أوزّع قوّتي...)؛ ليشير إلى أنَّ هذا الذي يوزّعه ليس بفائض عن حاجته، لكنّه يمنع نفسه عنه من أجلِ مَن هو بأمسّ الحاجة إليه، أمّا أولئك الذين امتلأت بطونُهم شبعاً ونفوسُهم طمعاً، فقد احتكرتهم (الأنا) كما احتَكروا الزادَ والمال.

إنّ ما أراد الشّاعر توصيلَه، هو: أنّ الضعفَ والشحوبَ إنّما هي من أجل الآخرين، أمّا السمنةُ، فهي على حساب الآخرين، وتبقى الكرامةُ مطلباً قويّاً للصعاليك؛ فهم لا يقبلون بالذلّ، ولا يرضون بالهوان؛ لذا، تراهم يعشقون الارتحالَ وتغييرَ الأماكن، وقد عبّر (الشنفرى) عن ذلك في قوله:

(وَفي الأَرضِ مَنأى لِلكَريمِ عَنِ الأَذى
وَفيها لِمَن خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ).

هذه المبادئ النابضة بالإنسانيّة هي التي دعت إلى أن تتكوّن حركةٌ مماثلةٌ في البصرة بزعامة (مالك بن الرّيب التميميّ)، الذي انضوت تحت قيادته مجموعةٌ كانت تحمل القدرة على ممارسة الصعلكة، وتحمّل مشاقّها، والتقيّد بنظمها، ومنهم: شِظاظ الضبّيُّ، الذي كان يُضرب فيه المثل بالقول: (ألصُّ من شِظاظ)، وشخصٌ آخر يقال له: أبو حُرْدُبة، وآخرُ يدعى: يَغوث، وغيرُهم.

والظاهر أنّ المبادئ التي وضعها عروةُ بنُ الورد كانت الأساسَ في نظام صعاليك البصرة؛ فهؤلاء لا يقطعون الطريق إلّا على البخلاء المحتكرين، الذين أداروا وجوههم عن المحتاجين؛ فهؤلاء أحقّ أن يؤخذ منهم المال ليُعطى لمن هو في عوزٍ وحاجةٍ إليه.

وما يعنينا هنا، هو: مالكُ بنُ الرّيب، الذي تمثّلت به تلك المبادئُ أحسنَ تمثيل، وقد كان الأكثرَ شجاعةً والأشدَّ فتكاً.

وكان فضلاً عن ذلك جميلَ المنظر، حسنَ الثيابِ، بليغَ الخطابِ، يُعجَبُ به من يراه، ولهذا السبب كان موضعَ إعجاب سعيدِ بنِ عثمان بن عفّان، الذي صادفهُ وهو في طريقه إلى خُراسان التي كان والياً عليها، وما يبدو أنّ سعيداً حاول إقناعَه أو إغراءَه بالمال، وربّما بمنصب ما، فما كان من مالكِ بن الرّيب إلّا أن يلتحق بجيشه ويترك الصعلكة، والظاهرُ أنّه التقى به في طريق الأهواز قريباً من البصرة التي

نشأ ابنُ الريب في باديتها، التي هي بادية بني تميم، التي قال عنها صاحب الأغاني أنّها كانت مسرحاً حرّاً لنشأته وأنشطته وممارسة صعلكته، ومن هنا بدأ التحوّلُ الكبيرُ في حياته من قاطعِ طرقٍ إلى جنديّ غازٍ في جيش يخوض معركةً بعيداً عن بلاده، وعلى ما ذكره المؤرّخون أنّه أبلى بلاءً حَسَناً في القتال، فأثبت أنّه صاحب حرب؛ لذا، كان قد رفض طلباً عرضه عليه سعيدٌ بأن يكون صاحب إبله، فينجو من الغزو.

بعد هذا، قرّر مالكٌ العودةَ إلى أرض العراق، إلى مدينة (البصرة)، وفي طريق عودته مرض مرَضا شديداً، وقيل إنّ أفعى لدغته، فسرى السمُّ في عروقه، وأحسَّ أنَّ المنيّة باتت تدنو منه، فكتب بكائيّتَه المشهورة التي – على ما قيل – أنّه رثى فيها نفسه.

والقصيدةُ من (البحر الطويل)، وهو أطول بحور الشعر وأجملها، وإليه – كما يقال – يعهدُ أصحابُ الرّصانة، وقد كثُر عند شعراء الجاهليّة، واستعملوه – في الغالب – في الفخر والوصف، وعلى إثرهم سار من أعقبهم من الشعراء، ولعلّ ابنَ الريب استعمله ليُشعِر بمقدرتهِ الشّعريّة، وليثير بموسيقيّته السّاحرة شجونَ سامعية.

ومن الطبيعيّ لمن يشعر بتلك الانتقالات القاسية في حياته أن يبدأ بالحنين إلى الأرض التي رعته ونشأ فيها، والتي انتقل منها إلى غربةٍ كانت تبدو له أنّها مؤقّتة، ثمّ الإحساس بأنّه سينتقل من هذه الأخيرة إلى غربةٍ أبديّة لا عودة منها.

إنّ هذه القصيدة تضعُنا أمام مسارَين يمثّلان مرحلَتين في حياة الشاعر:

الأولى: مرحلة الصعلكة.

والثانية: مرحلة ما بعد الصعلكة.

ومع أنّ الشّاعر وصفَ الانتقالَ من الأولى إلى الثانية بأنّه تحوّل من الضلالة إلى الهدى، إلّا أنّه لم يُشِر إلى ما يبيّن حبّه وانشدادَهُ إليها، بل حاول إشعارَ متلقّية بأنّه نادمٌ على فِعْل تسبّب له البعدَ عن أرضه وعمّن يحبّ، ويكفي لتأكيد ذلك قوله:

(فإن أنجُ من بابَي خُراسانَ لا أعدْ
إليها وإن منّيتُموني الأمانيا)

أمّا الجانبُ الأكبرُ من القصيدة، فكان يتحدّث عن (الصعلكة) التي مارسها وهو قريبٌ من أهله ووطنه، والتي جسَّد فيها المبادئَ التي ألزمَ نفسَهُ وجماعتَهُ بالتقيّد بها، ولأنّه مؤمنٌ بها، فهو يحاول الإشعارَ بها حتّى بين المعاني التي قد تبدو ذاتيّة، وبتحليل خطابه الشّعريّ، سنقف على الصّور والمضامين التي كوّنت تلك البكائيّةَ، وعلى النحو الآتي:

الحنين الى المكان (الوطن)، والانتماء الحقيقيّ للمجتمع (الانسان).

وهذا ما بدأ في الأبيات الثلاثة الأولى من القصيدة، وهي:

(أَلا لَيتَ شِعري هَل أَبيتَنَّ لَيلَةً.. بِجَنبِ الغَضى أُزجي القَلاصَ النَواجِيا

فَلَيتَ الغَضى لَم يَقطَعِ الرَكبُ عرضَه.. وَلَيتَ الغَضى ماشى الرِّكابَ لَيالِيا

لَقَد كانَ في أَهلِ الغَضى لَو دَنا الغَضى... مَزارٌ وَلَكِنَّ الغَضى لَيسَ دانِيا)

لقد اتّخذ ابنُ الريب من (الغضى) رمزاً للتعبير عن ذلك الحنين وذلك الانتماء، فكرّرها ستَّ مرّات في الأبيات الثلاثة التي شكّلتْ مقدّمةَ مرثيّته، و(الغضى) على ما يذكر أصحابُ المعاجم اللغويّة هو: (الأثل) الذي ينبت في الرمل، وتمتدُّ أشجارُه إلى ارتفاع (١٢) متراً أو أكثر، ويتميّز بصلابة سيقانه، حتّى أنّ النار إذا ما اشتعلت فيه، يبقى جمرُها لمدّة طويلة لا ينطفئ، ومن هنا يقال لمَن يشتدُّ به الحزنُ إنّه (على جمر الغَضى)، لقد وظّف الشّاعر هذه المفردة لرسم صورة شعريّة جميلة يمكن تحديد أبعادها بالآتي:

١. الغضى الأُمنية.

٢. الغضى المفارق.

٣. الغضى المماشي.

٤. الغضى الداني.

٥. الغضى القاصي.

ومع أنّ التمنّي لا يفارق بيتاً من أبيات تلك المقدّمة، إلا أنّه يشكّل الأمنيةَ الكبرى والأقوى في البيت الأوّل؛ لأنه يحمل تعلّقهُ بالأرض، وانشدادَهُ إلى الوطن الذي نشأ وترعرع فيه،

والذي مارس فيه حياته المحبَّبة نحو رعي تلك الإبل السريعة، والترفّق بها، ومداراتها.

ولقد بدأ الشاعر بما كان يبدأ به الكثير من الشعراء العرب، طارقاً باب المجهول بقوله (ألا ليتَ شعري...) أي: ليت علمي حاصلٌ أأَبيتُ ولو ليلةً واحدة بمحاذاة وبجنب الغضى، أم لا؟

إنّ ذلك المكانَ هو موطن الذكريات الجميلة، وهو مسرح الحياة التي كان يحبّها كثيراً؛ لذا، فقد أضاف (المكان) إلى (الغضى) إضافة معنويّةً توحي بتعالق المتضايفين تعالقاً عميقاً لا يمكن معه الفصل بينهما (بجنب الغضى)، وإذا كان ذلك قد جرى في البيت الأوّل من المقدِّمة، فقد فعل مثلَه في البيت الثالث؛ إذ أضاف (الانسان) إلى (الغضى) إضافةً معنويّةً حقيقيّةً أيضاً (أهل الغضى)، ولا شكَّ في أنَّ المكان والإنسان هما عنصرا الوطن الاساسيّان، ومثلما كان منشدّاً إلى الأرض، فقد كان منشدّاً إلى أهل تلك الأرض؛ فهم أهلُ طيبةِ ونصرةِ وكرمِ، يصلون إخوانَهم، ويُهرعون لإعانة من له حاجة عندهم، ولو كان بينهم وهو في محنته، لأعانوه خيرَ إعانة، وهذه هي الأمنية الأخرى التي لا يمكن تحقيقُها.

ويبقى الشاعرُ يدور في فَلَكِ (ليتَ) متعلّقاً بحبال التّمنّي؛ فبعدَ الحنين والتعلّق بالأرض، حاوَل رسْمَ صورةٍ جميلةٍ في البيت الثاني، فتمنّى في شطره الأوّلِ أن يبقى (الغضى) في محلّه ومكانه، وأرادَ للركبِ أن لا يفارقَه ولا يسيرَ بعيداً عنه، فكأنّه أراد السكونَ والمكوثَ لهما معاً، وقد عبّر بالركب عمَّن سارَ معهم من ركبان الإبلِ والخيلِ، وهم من عشرة فما فوق ممّن كانوا متّجهين إلى خراسان.

وفي الشطر الثاني أراد أن يسيرَ (الغضى) ويتحرّكَ مماشياً تلك الإبل والخيل التي تحملهم؛ فبعد أن وجد أنّ سكون الاثنين (الغضى والركب) ليس بممكن، راح ينشدُ حركتهما معاً، وتمنّى للغضى أن يماشيَ الركابَ ويسيرَ معه حيث حلّ وارتحل.

لقد أحسَّ الشّاعر أنَّ ما يصبو إليه إنّما هو تصوّر لا غير، وأنّ أغصان الأماني قد أخذت تنحني أمام عاصفة اليأس، فَراح يطلقُ صيحتَه الأخيرةَ في البيت الثالث مستدركاً استدراكاً متبوعاً بالنفي، وبما أنّ الاستدراكَ هو رفعُ توهّم تولّد من كلام سابق، فقد جاء النفي بـ(ليس) تصحيحاً لما تيقّن من عدم صحّته؛ فالركابُ سارت نحو هدفها والغضى باقٍ في مكانه، ولا يفصل بينهما إلّا البعدُ والفراقُ واللوعة والحنين، (ولكنَّ الغضى ليس دانيا).

إنّ الصعاليكَ لم يكونوا متمرّدين على أوطانهم، بل هم متمرّدون على محتكري الثروة، وعلى السلطات الجائرة التي تمارس الظلم ضدَّ شعوبها، وما أودّ تأكيدَه هنا، هو: أنّ للصعاليك صفاتٍ ومبادئَ لا بُدَّ من التوقّف عندها؛ لما فيها من أبعاد إنسانيّة جميلة، وإن كان الدفاعُ عنها لا يُعطي مسوّغاً لما اعتمدوه من وسائلَ نحوَ قطع الطرق وممارسة السَّلْب والنهب.

وقد بيّنّا جانباً من ذلك في تحليلنا لمقدّمة القصيدة، وإن شاء الله، سنتناول في العدد القادم مضامينَ وصوراً أخرى في بكائيّة ابن الرَّيْب.



أبرزُ الحقول النّفطيّة المكتشفة في محافظة البصرة

د. عبد الجبار عبّود الحلفيّ

في عام (١٩٣٨م)، حصلتْ شركةُ نفط البصرة (BPC) على امتياز لمدّة (٧٥) سنة في تنقيب واستكشاف واستخراج النّفط ضمنَ أراضٍ شاسعةٍ لولاية البصرة، التي تضمُّ جنوب العراق بأكمله، وكان أوّل الحقول المستكشَفة هو حقل الزّبير في سنة (١٩٤٧م)، ثمّ توالتْ الاستكشافاتُ النّفطيّة في هذه المدينة التي تطفو على حوضٍ نفطيٍّ هائلٍ، وسنتطرق هنا إلى الحقول النفطيّة المكتشفة في هذه المحافظة المعطاء.

- **حقلُ الرُّميلة الجنوبيّة:** إنّ حقل الرُّميلة بشطريه الشّماليّ والجنوبيّ كان حقلاً متكاملاً حتّى سبعينيّات القرن الماضي، إلّا أنّ إنشاء طريق المرور السّريع، شَطَرَ الحقل إلى نصفين: جنوبيّ، وشماليّ، فسُمِّي الحقل القريب من الحدود الكويتيّة بالرُّميلة الجنوبيّة، والحقل الآخر الذي يقعُ على الجانب الشّماليّ من الطّريق شمال الرُّميلة (الرُّميلة الشّماليّة). والحقلُ بأكملِهِ يضمُّ أربعة مكامن نفطيّة، وتُشير المصادر إلى أنّ الاحتياطيّ المؤكّد للرُّميلة الجنوبيّة نحو (٧) مليار برميل، وهو من النّوع الخفيف المتوسّط بكثافة (٣٠- ٣٥) API. وقدْ اكتُشف الحقل في سنة (١٩٥٢م) من قبل شركة نفط البصرة.

- **حقلُ الرُّميلة الشّماليّة:** اكتُشف سنة (١٩٥٣م) من قبل شركة نفط البصرة، ويضمُّ احتياطيّاً مؤكّدا مقداره (١٠) مليار برميل، وجرى تطويره فيما بعد من قبل شركة النّفط الوطنيّة العراقيّة.

وتُشير المصادرة في شركة الـ (BP) ونفط الجنوب إلى أنّ الاحتياطيّ الجيولوجيّ للحقلين يصلُ إلى نحو (٦٢) مليار برميل؛ ولذلك، فإنّ حقل الرُّميلة يُعدُّ من أكبر الحقول العراقيّة من حيث النّفط الموجود في المكان (Oil in place)، ويُنتج غالباً نحو (٤,١) مليون برميل نهاية (٢٠١٣م)، فهو الثّاني بعد أكبر حقلٍ منتِجٍ في العالم، ويُسهمُ في إنتاج (٤٠٪) من إنتاج النّفط في مجمل الحقول العراقيّة (GDP). تبلغ مساحة الحقل (١٦٠٠كم٢).

- **حقلُ مجنون:** يقع شمالَ مدينة البصرة في ناحية (النّشوة)، وهو من الحقول الكبرى (virgin)، وقد اكتُشف من قبل شركة بتروبراس (Petro-Bras) البرازيليّة الحكوميّة سنة (١٩٧٦م)، وقدْ تخلّت الشّركة عن تطويره بعد نشوب الحرب العراقيّة الإيرانيّة سنة (١٩٨٠م)، وقامتْ شركة النّفط الوطنيّة العراقيّة بتطوير الحقل، وأنتجتْ أوّلُ بئر نحوَ (٤)



آلاف برميل، وسُمّي الحقل بـ(مجنون) نتيجةً لضخامة احتياطيّاته التي تبلغ (٤٨) مليار برميل وفقاً لبيانات شركة نفط الجنوب، وتُقدَّر مساحة الحقل بـ(٩٥٠م٢)، ويضمُّ (١٣) مكمناً؛ ولذلك فهو من أكبر حقول النّفط في العالم، ويُنتج حاليّاً نحو (١٥٠) ألف برميل، وبلغتْ تقديرات تطويره نحوَ ملياَري دولار من شركة (شل) وشركة (بتروناس).

يتميّز الحقلُ بسرعة تدفّق النّفط عند الاستخراج (Flow)، والنّوع الموجود من النّفط في الحقل من النّوع الخفيف المتوسّط.

- حقلُ غرب القُرنة: يقع شمالَ البصرة إلى الغرب من مدينة القُرنة، قامتْ شركة (لوك أويل) (Lukoil) الرُّوسيّة باكتشافه سنة (١٩٧٢م)، إلّا إنّ الشّركة تخلّتْ عن تطويره بعد نشوب الحرب العراقيّة الإيرانيّة بمدّة وجيزة، وبعد إعادة تقييم احتياطيّاتِه في العام (٢٠١٠م)، تبيَّنَ أنّ الحقل يضمُّ نحو (٢٠) مليار برميل؛ ولذلك، فهو من الحقول فوق العملاقة (Ultra Super Giant)، وهو يُضاهي حقل الغوّار في السّعوديّة؛ بوصفه أكبر حقل في العالم من حيث الاحتياطيّ.

ونفط الحقل من النّوع الخفيف (API(٢٤، وقدْ جرى تطويرُه من قبل شركة نفط الجنوب في أواسط تسعينيّات القرن الماضي، وأصبح يُنتج نحو (٢٥٠) ألف برميل سنة (٢٠٠٤-٢٠٠٥م)، ثمّ تطوّر إلى (٤٥٠) ألف برميل سنة (٢٠١٠م)، وقدْ أُحيل الحقل لتطويره بمرحلتيه الأولى والثّانية على مجموعةِ شركاتٍ روسيّةٍ وأمريكيّةٍ وهولنديّةٍ وبريطانيّةٍ؛ لضخامة احتياطيّاتُه. وهو من الحقول البكر.

- حقلُ نهر ابن عمر: تعود تسمية الحقل إلى عبدالله بن عمر بن عبد العزيز، الذي سُمِّيَ النَّهر باسمه أيّام الأمويّينَ. اكتشفتْه شركة نفط البصرة (BPC) سنة (١٩٤٩م)، وتبلغ كثافةُ النّفط فيه (API(٣٠-٣٥، ونفطُه سهل الاستخراج؛ لقربه



من سطح الأرض، مساحته (٢٠٠ كم٢)، ويخترق شطّ العرب.

- حقلُ اللّحيس: اكتشفتْه شركةُ النّفط الوطنيّة العراقيّة (INOC) سنة (١٩٧٢م). يقع جنوب غرب البصرة، تبلغ احتياطيّاتُه المؤكّدة نحو (٤) مليار برميل، وهو من النّوع الخفيف المتوسّط بدرجة (٣٢)API. جرى تطويره من قبل كوادر شركة نفط الجنوب، ويُنتج حاليّاً نحوَ (١٦٠) ألفَ برميل (٢٠١٣م).

- حقلُ الزّبير: من الحقول العملاقة، ويقع جنوب غرب البصرة في أطراف قضاء الزّبير، تبلغ احتياطيّاته أكثرَ من (٤) مليارات برميل، ومساحتُه (٥٥٨كم٢). اكتُشف من قبل شركة نفط البصرة (BPC) سنة (١٩٤٨م)، وهو أوّل حقل تمَّ اكتشافُه في مدينة البصرة.

بلغ إنتاجُه نحوّ (٣٠٠) ألف برميل (٢٠١٢م)، ونفطُهُ من النّوع الخفيف المتوسّط بدرجة (٣٤) API، ويمتاز بضخامة الغاز الطبيعيّ المصاحب للنّفط، وقدْ جرى تطويره من قبل كوادر شركة نفط الجنوب منذ السّبعينيّات، أُحيلَ على مجموعة شركاتٍ إيطاليّةٍ وأمريكيّةٍ وكوريّةٍ جنوبيّةٍ لتطويره ضمن جولات التّراخيص النّفطيّة سنة (٢٠١٠م).

- حقلُ قبّة صفوان: اكتُشف سنة (١٩٨٤م) من قبل شركة النّفط الوطنيّة العراقيّة، ويقع جنوب مدينة البصرة على مقربة من الحدود العراقيّة الكويتيّة، تبلغ احتياطيّاته المؤكّدة نحو (٢٠٠) مليون برميل. جرى تطويره من قبل شركة نفط الجنوب سنة (٢٠٠٨م)، يُنتج حاليّاً أكثر من (٥٠) ألف برميل بدرجة (٢٥)API.

- حقلُ الطُّوبة: اكتشفتْه شركة النّفط الوطنيّة العراقيّة سنة (١٩٨٤م)، ويقع جنوب غرب البصرة، تبلغ احتياطيّاته نحو (١,٥) مليار برميل من النّفط المؤكّد. جرى تطويره من قبل شركة نفط الجنوب، يُنتج حاليّاً نحو (٣٠) ألف برميل (٢٠١٣م) من النّوع المتوسّط الخفيف (٢٨) API.

- حقلُ صبّة: يقعُ جنوب غرب البصرة، اكتشفتْه شركة النّفط الوطنيّة العراقيّة في سنة (١٩٧٠م)، تبلغ احتياطيّاتُه المؤكّدة نحو مليار برميل من النّوع الخفيف المتوسّط، بدرجة كثافة (٣٤)API.

- حقلُ السّيبة: اكتشفتْه شركة توتال (TOTAL) الفرنسيّة



سنة (١٩٦١م). يقعُ جنوب البصرة، تمتدُّ مكامنه إلى منطقة الفيّاضي في أبي الخصيب، وهو حقل غاز حرّ (Free-gas)، يحتوي على نحو (٤٠٠) مليار متر مكعّب ضمن جولات التّراخيص النّفطيّة سنة (٢٠١٠م).

- **حقلُ أرطاوي:** اكتشفتْه شركة نفط البصرة سنة (١٩٤٨م). يضمُّ نحوَ مليار برميل من النّفط المؤكّد. تمَّ تطوير أحد مكامنه (مَكمن اليمامة) من قبل شركة نفط الجنوب سنة (٢٠٠٦م)، وتمّ حفر عدّة آبار في المكمن، يُنتجُ حاليّاً (٢٠١٣م) نحو (٤٥) ألف برميل، وقدْ تمّ نصب عازلات لغاز الرّطب والنّفط ووحدة استخلاص الكبريت من قبل كوادر الشّركة، وكذلك محطّة عزل الغاز.

- **حقلُ السّندباد:** من الحقول البكر، اكتشفتْه شركة (بتروبراس) سنة (١٩٧٤م)، وتركتْه بعد ذلك، يقعُ شرق مدينة البصرة قريباً من الشّلامچة، ويحتوي على احتياطيّات تصل إلى (٢) مليار برميل، ثمّ تمّ تطويره من قبل شركة نفط الجنوب، ويُنتج حاليّاً نحو (١٦) ألف برميل من بئر واحدة، ويحتوي على كمّيات ضخمة من الغاز الطبيعيّ.

- **حقلُ راجي:** اكتُشف سنة (١٩٥٠م) من قِبَل شركة نفط البصرة، وهو غير منتجٍ حاليّاً؛ لنضوب نفطه المؤكّد البالغ (٣٠٢) مليون برميل آنذاك.

- **حقلُ جريشان:** اكتشفتْه شركة نفط البصرة سنة (١٩٥٩م)، ويضمُّ نحو (٧٠) مليون برميل عند اكتشافه. غير منتجٍ حاليّاً؛ لنضوب نفطه المؤكّد. تبلغ كثافة النّفط فيه (٣٢) API.

المصدر:

(١) منظّمة الأقطار العربيّة المصدِّرة للنّفط، التقرير الإحصائيّ السّنويّ، ٢٠٠١م، أوابك، الكويت: ص٢٠٣.

(٢) شركة النّفط الوطنيّة العراقيّة/ فرع البصرة، التقارير الماليّة، أعداد مختلفة.



المكتباتُ في البصرة عام ١٩٢٠م

د. حيدر شهيد جبر الخفاجي

أولاً: مكتبةُ النَّقْشَبَنْديّة

كانت مدينة البصرة ولا زالت تتمتّعُ بحسٍّ ثقافيٍّ مميَّزٍ، وتنوّعت ثقافةُ المدينةِ من خلال ما وُجد فيها من مراكزَ ثقافيّةٍ شكّلت مركزاً أساسيّاً في المجتمع البصريّ، ومن هذه المراكز مكتبةُ النَّقْشَبَنْديّة، التي أُسّست في عام ١٩٢٠م، من قبل الأخوَين: ناصر محمود وأحمد محمود النقشبنديّ، وكانت تابعةً إلى دائرة أوقاف البصرة[١].

كانت المكتبةُ تشغلُ محلاًّ في منطقة العشّار، وبسبب عدم توفّر الواردات الماليّة الكافيّة لها، نُقلت إلى مدرسة السّيمر عام ١٩٢٧م، لتشغل غرفةً ضمن المدرسة استخدمتها لوضع الكتب فيها. وقد ضمّت هيئتُها الإداريّة في عام ١٩٣٠م، كلاًّ من [٢]

ت	الإسم	الوظيفة
١	عبد الكريم أفندي المحامي	رئيساً
٢	عبد العزيز أفندي السيد حسين	عضواً
٣	محمود رضا أفندي حسان	عضواً
٤	عبد الرحمن أفندي الأمين	عضواً
٥	عبد الجليل أفندي ذهني	عضواً

وقد استمرّت مكتبة النقشبنديّة في نشاطها حتّى تشرين الثاني من عام ١٩٣٣؛ حين أسدل السّتار عليها بسبب عجزٍ ماليٍّ طرأ على هيئتها الإداريّة، ممّا دفعها إلى تسليم كافّة مقتنياتها من الأثاث والكتب إلى مديريّة أوقاف البصرة[٣].

ثانياً: مكتبةُ مدرسةِ النَّجاة الأهليّة

تأسّست عام ١٩٢٠م، في الزبير، وكانت مكتبةً ملحقةً بمدرسة النجاة الأهليّة وتابعةً لها[٤]، وقد احتوت على الكثير من الكتب المتنوّعة في المجالات كافّة، وكان معظمُها من تبرُّعات وُجهاء ومثقفي مدينة الزبير، حتّى وصل عددُ الكتب فيها الى ما يقارب (١٥٦٧) كتاباً[٥].

ثالثاً: مكتبةُ محمّد أحمد المحامي

وُلد صاحب المكتبة في عام ١٨٨٤ في مدينة بوشهر، وتدرّج في الثقافة في مختلف المدارس الايرانيّة والهنديّة، وعُيّن عام ١٩٠٠م، مترجماً في القنصلية البريطانيّة في بوشهر، وبعد احتلال العراق عام ١٩١٤، أصبح سكرتيراً شرفيّاً للحاكم الملكيّ العامّ السير برسي كوكس، وفي عام ١٩١٩ عُيّن حاكم صلحٍ وحاكمَ جزاءٍ من الدرجة الأولى، وعضواً في محكمة بداءة البصرة، وبعد ذلك عُيّن حاكماً سياسيّاً وعضواً لمحكمة كربلاء، ومُنح تقديراً لكفاءته في أعماله، وكذا حصل على لقب (خان بهادُر) من الحكومة الهنديّة، وكذا منح وسامَ(سي.آي. آي) من الحكومة البريطانيّة، ثمّ عُيّن خلال السنوات ١٩٢٠-١٩٢١ رئيساً لمحكمة بداءة الحّلة، وفي سنة ١٩٢٢ عُيّن في البصرة بصفة حاكم جزاء، وبعد ذلك قدّم استقالتَه من الوظيفة، ومارس مهنة المحاماة، وكان له دور ثقافيٌّ كبيرٌ من خلال تأليفه بعض المؤلفات القيّمة بلغات مختلفة؛ إذ ألَّفَ بعضَ الكتب باللغة الفارسيّة، ومنحته الحكومة الايرانيّة الوسامَ العلميَّ من الدرجة الثانية عام ١٩١٤. وأمّا أبرز مؤلّفاته المطبوعة، فهي: الإنشاء الفارسيُّ، وسيرة كرستوف كولمبس، وإنشاء أعلى، ودوسْتداران بشر، أي: محبّو البشر، بجزأين، وسيرة ابراهام لنكولن، فضلاً عن الكثير من المؤلّفات الأخرى[٦].

تعدُّ هذه المكتبةُ من المكتبات الشخصيّة والخاصّة، وتختلف عن سابقتَيها؛ كونَها قد أُسّست بجهود شخصيّة من قبل السيّد محمّد أحمد المحامي، وكذا في أنّها لم تحصل على أيّ دعم من سلطات الاحتلال البريطانيِّ، وتأسّست في مدينة البصرة في حدود عام ١٩٢٠، وكان صاحبُها محامياً كما تقدّم، ولديه اهتمام كبير بجمع واقتناء الكتب القيّمة والنادرة، وكانت تحتوي على ما يقارب (٥٠٠) مجلد مخطوط، (٤٠٠) منها باللغة العربيّة، و(١٠٠) باللغة الفارسيّة[٧]، وخّصص لها صاحبها في داره بناية خاصّة تتكوّن من خمسِ غرف جعل واحدةً منها للمطالعة، وثلاثةً للكتب، وواحدةً للتحف والمُقتنيات الأثريّة والطوابع، فضلاً عن وجود الكثير من الكتب المتنوعة فيها[٨].

الهوامش

١- عماد عبد السلام رؤوف، المكتبات، حضارة العراق، الجزء ١٣، بغداد-١٩٨٥، ص ٢٨١.

٢- د، ك، و، عن كتب سكرتاريّة مكتبة النقشبنديّة الى متصرفيّة لواء البصرة ذي العدد ١٤٣٣٠ بتاريخ ٤ كانون الثاني عام ١٩٣٠، و ٣، ص ٤.

٣- د، ك، و، ملفّات وزارة الداخليّة- الديوان، رقم الملفة، ١٠٢١٢/ ٣٢٠٥٠ مكتبة النقشبنديّة في البصرة، و، ٤، ص ٤.

٤- أُسّست مدرسة النجاة في الزبير عام ١٩٢٠، للمزيد من التفصيل عن هذه المدرسة ونشأتها وتطوّرها ينظر: جاسم ياسين الدرويش، مدرسة النجاة الأهليّة في الزبير ١٣٣٩هـ -١٣٩٤ هـ -١٩٢٠م -١٩٧٤ م، البصرة-٢٠٠٧.

٥- المصدر نفسه، ص ٥١.

٦- هناء نعمة محمد الغالبي، دائرة المعارف البصريّة، ج٤، بيروت-٢٠١٦، ص ١٢٦٥-١٢٦٦.

٧- زكي حسين الورديّ ومجبل لازم مسلم المالكيّ، مكتبات البصرة، موسوعة البصرة الحضاريّة، الموسوعة الفكريّة، البصرة-١٩٨٩، ص ٦٧٥.

٨- وعد علي كاظم العبّودي، الأوضاع الثقافيّة في لواء البصرة ١٩٢١-١٩٣٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة - جامعة ذي قار، ٢٠١٨، ص ٨١.



مع الدكتور حسن ضاحي الزّهيري:
أستاذِ التاريخِ الاسلاميّ

حوار: علي سلمان كنعان

لقاؤنا اليوم بشخصيّة بصريّة علميّة متواضعة، أحبَّ البصرةَ وتاريخَها، وعملَ من أجلها ومن أجل نفض الغبار عن تاريخها المشرق، هو أستاذٌ من أساتذة التاريخ الإسلاميّ، وباحثٌ في تاريخ الثورة الحسينيّة، أعني به: الأستاذ، الدكتور حسن ضاحي جبر الزهيريّ.

- في البداية نرحّب بكم دكتور، وباختصار: من هو الدكتور حسن الزهيريّ؟

أهلاً وسهلاً ومرحباً بكم، أنا الدكتور حسن ضاحي جبر الزهيريّ، من مواليد البصرة عام ١٩٥٧م، أسكن منطقة الجمهوريّة، مركز المدينة.

- نودّ أن تتحدّث لنا عن سيرتكم العلميّة، وما هي المدارس التي درستم فيها؟

درست الابتدائيّةَ في مدرسة العِزَّة، ودخلت الاعداديّة في مدرسة الجمهوريّة، ومن هناك إلى معهد المعلّمين في البصرة، وأكملت الدِّراسة الجامعيّة في الجامعة المستنصريّة في بغداد، وحصلت على شهادتَي الماجستير والدكتوراه من كليّة الآداب/ جامعة البصرة.

- كيف تصف لنا المكتبةَ الشخصيّةَ الخاصّة بكم؟

هي عبارة عن مكتبة خاصّة تقع في دارنا السكنيّ، وتأسّست على يد الوالد سنة ١٩٦٧م، ولدينا كتب يشير تاريخ شرائها الى ذلك مثل كتاب (مقاتل الطالبيين)، وديوان الامام عليّ عليه السلام، وكنا قد خصّصنا غرفة بطول ٤ أمتار وعرض خمسة، وكذا قاعة للمطالعة بعشرة أمتار طولا وسبعة عرضا، وكما ذكرتُ، فإنّ أوّل كتاب استقر على رفوفها كان سنة ١٩٦٧م.

- هل من أحداث أثّرت على المكتبة؟

نعم، فقد فُقدت أغلبُ كتب المكتبة في حرب الثمانينيّات؛ بسبب مضايقتنا من قبل النظام البائد، ثمّ استطعنا بحمد



الله أن نعيد جمعَ الكتب بعد عام ١٩٩٠م، وهي الآن تضمّ العديدَ من الكتب المتنوّعة، وقد قُسّمت حسبَ الأجنحة، منها: جناح خاصٌّ بكتب الثورة الحسينيّة والسيرة النبوية والائمّة الأطهار عليهم السلام، وجناحٌ بكتب مَقاتل الإمام الحسين عليه السلام، وجناحٌ لكتب التاريخ والتفسير وكتب الأنساب، وجناحٌ للكتب المتنوّعة بمختلف العناوين، ونرجو أن نوسّع المكتبة كمّاً وكيفاً.

- هل من شخصيات أو باحثين زاروا المكتبة؟

نعم، زار المكتبةَ عددٌ من أساتذة الجامعة، وبعضُ الوجهاء، وطلابُ بُحوث التخرّج، ومجموعةٌ من القراء والمثقّفين.

- هل لديكم مؤلَّفاتٌ باسمكم؟

لديّ اكثرُ من مؤلَّف، منها: (الإعلام في الثورة الحسينيّة)، وكتاب (تراث الطفّ)، وكتاب (عواقب قَتَلة الإمام الحسين عليه السلام)، وكتيّبٌ بقصار السّور، فضلاً عن مجموعة من البحوث، منها: (عصر الظهور)، و(الولاية العلميّة للإمام عليّ عليه السلام).

- هل توجدُ برامجُ خاصةٌ بالمكتبة؟

نعم، نعمل على رفد الباحثين -وخاصّة طلاب الجامعة وبحوث التخرج والأساتذة- بما يتوفّر من مصادر فيها، مثل: الدينيّة والتاريخيّة واللغويّة، وكذا تقام بعض الدورات الأهلية في التلاوة، وهناك المجالس العامّة بطلب خاصٍّ؛ لأنها داخل الدار.

- ما هي الطريقة المعتمَدة لديكم في فهرسَة المكتبة؟

فهرسةٌ عاديّة بسيطةٌ وفقَ المجاميع المتشابهةِ، مثل التاريخيّة واللغويّة والبحوث والتراجم والتفسير والدوريات.

كلمةٌ أخيرةٌ

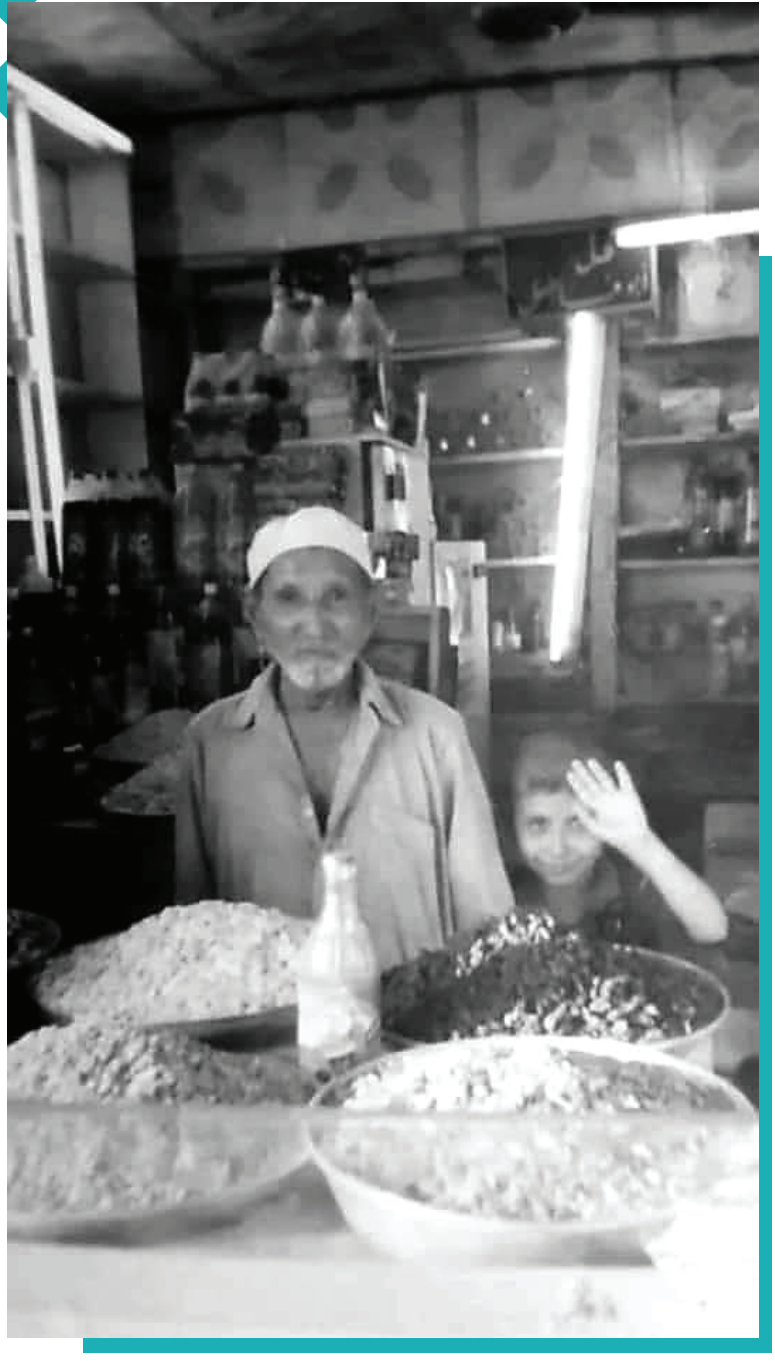
أشكر مركزَ تراث البصرة على هذه المبادرة القيّمة في خدمة البصرة الفيحاء وإحياء تراثها.

في نهاية الحوار، علينا أن نتقدَّم بالشكر الجزيل للأستاذ الرائع على إتاحة الوقت، متمنّين له الكثير من النجاح والتوفيق.

من الشّخصيات الظّريفة في البصرة...

زَرْزور أبو الحَبّ

إعداد: حيدر الخفاجي



هل سمعتم عن أشهر بائعٍ بصريٍّ للكَرَزات في البصرة وفي منطقة العشّار تحديداً؟ إنّه (زرزور) أبو الحَبّ، الاسم الذي تجاوز مَدَيات المَدينة إلى ما سواها من المدن.. و(زرزور) هذا شخصيّةٌ بصريّةٌ ظريفةٌ، يحبّه الناس لبساطته، ويتلذّذون بطعم كرزاته المحبّبة.. ورُغم أنّ محلّه الواقعَ قبالةَ مبنى المحافظة القديمة صغيرٌ، لكنَّه ظلَّ يواصل عمله به منذ سنين طويلة تجاوزت الستّين عاماً... فهو وإن كان كبيرَ السّن، لكنَّه يتواجد في المحلّ يوميّاً غيرَ مبالٍ بتعب الأيّام والسنين، فتجده يشرف بنفسه على تنقية الكرزات وتصنيفها وخلطها، ولم يترك الأمر لابنه الذي يرافقه دائماً في هذا العمل؛ فهو يشعر بنشوة عندما يزاول العمل بنفسه، فهي مهنته المحبّبةُ منذ أكثر من نصف قرن، حتّى غدا أقدمَ بائعٍ في البصرة.

بقي (زرزور) محتفظاً بعمله وبطبيعة مهنته، وأصبح محلُّه واسمُه عنواناً يهتدي إليه الكثير من الزوّار، فيصفون لبعضهم البعض عناوينَ أكثر تدل على أنّ المحلّ الفلانيَّ يقع بالقرب من (زرزور) أبي الحبّ.

وللزرزور البصريِّ حكاياتٌ عديدةٌ، منها: أنّه راويةٌ للتاريخ، ويتذكّر الكثير من الحوادث التي مرَّت بالبصرة، ويصفه زملاؤه بأنّه يتذكَّر حفرَ الشَّطّ، وهذا مثلٌ بصريٌّ يضرب في أمثال (زرزور) من القدماء والمسنّين، فهو رجلٌ مسنٌّ يداري شيخوختَه بطقمٍ فاخر من الأسنان، وحركةٍ دائبةٍ داخل المحلّ..فتراه يعرف زبائنه، وأمزجتهم، ورغباتِهم، ويهيّئُ لهم طلباتِهم دون أن يطلبوا منه ذلك.

(زرزورُ)، البصريُّ الذي جمع حول عشّه الصغير كلَّ الشَّخصيّات الاجتماعيّة البصريّة؛ فهو يطعمهم بنماذجَ جديدةً من الحَبِّ كما يحلو للبصريّين تسمية (الكرزات)، كما يطعمهم بالمحبّة البصريّة الأصيلة،والترحاب اليوميِّ الحميم، الذي يجعل من النخبة المحلّقة حوله وحول شجرته حالةً فريدةً كتفرّد أهل البصرة بكلِّ الأشياء الجَميلة.

كانَ يصفُ الوسائلَ المتطوّرة رُغم أهمّيّتها بأنّها عقّدت الحياةَ البسيطةَ التي كنّا نعيشها؛ حيث الألفة والمحبّة واجتماع أفراد العائلة على سفرة واحدة للإفطار، والتنعّم بالرزق الحلال، والحمد والثناء للرحمن الرحيم، ويؤكّد أنّ «أجملَ ما كان في الشهر الفضيل في البصرة أيّام زمان، هو تبادل أواني الطعام بين الجيران قُبيل موعد الإفطار، وخاصّة الأطعمة المتميّزة التي تتباهى ربّاتُ البيوت بإجادة طبخها، مثلَ البريانيّ المفعَم بروائح المطيّبات والبهارات والتوابل الهنديّة، وسمك الزبيديّ الطازج، والقباب المجفّف، ولقمة القاضي، والهريسة، وأنواع من حلويّات التمر، إضافة إلى الأطباق التي ترسل بشكل يوميٍّ إلى الجوامع ودور العبادة لإفطار الصائمين من الفقراء المتعفّفين».

وعن أنّ «البصرة في الثلاثينيّات كانت بلا كهرباء وإنّما هناك أعمدة تعلّقُ عليها الفوانيسُ النفطيّةُ التي يقوم بإشعالها عاملٌ يدور عليها بدرّاجته الهوائيّة، وخاصّة في الشوارع الرئيسة المتفرّعة من ساحة أمّ البروم، التي تستضيف في أيّام رمضان مدفعَ الإفطار».

ويذكر زرزورُ أنّ مسؤولَ المدفع كان شخصاً يسمّى محمّد؛ كان يقوم وقت الظهيرة بجمع قصاصات القماش من محالّ الخيّاطين، ويخلطها مع كمّيّة من البارود، ويضعُها في مؤخّرة سبطانة المدفع، الذي كان يتّخذُ ركناً من حديقة الساحة التي كانت تسمّى وقتذاك بحديقة الملك غازي، وعندما يسمع صوتَ المؤذّن، يشعل فتيلَ القماش، ويسحب الحبلَ المثبَّتَ بالسّبطانة، عند ذاك يطلق مدفع محمّد قذيفتَه القماشيّة، محدثاً دويّاً مسموعاً إلى مسافات بعيدة، فيسارعُ الناس إلى تناول إفطارهم».



استراتيجيّةُ المراقبة، وفاعليّةُ النّظام الرّقابيّ في فِكْرِ أميرِ المؤمنينَ عليهِ السّلام

دراسةٌ في كتابِه إلى واليهِ على البصرةِ (عثمان بن حُنيف)

الحلقة الثانية

أ. د. شكري ناصر عبد الحسن

مصدريّة المعلومة الاستخباريّة

إنّنا إذا ما أردنا الوقوف على مصدريّة المعلومة الاستخباريّة التي نُقِلتْ إلى أمير المؤمنين عليه السلام، والمعبَّر عنها بكلمة «بَلَغَنِي»، لابدَّ لنا من احتمال أكثر من مصدر في أنّه كان سبباً في وصولها إلى الإمام عليه السلام، مع تأكيد أنّ هذه المفردة تحمل كثيراً من الدِّقّة، ما يُشير إلى أنّ هناك حكمةً دفعته عليه السلام إلى اختيارها دون غيرها من الألفاظ؛ إذْ لم يتبيَّن لنا من كلامه عليه السلام الجهةُ التي تبنّت عمليّة التبليغ، وعدمُ البيان هذا يُعدُّ في حدِّ ذاته أمراً غاية في الأهمّيّة؛ إذْ إنّ استحكام فرض سلطة الدّولة وقدرتها على وضع اليد على مواطن الفساد يتطلّب منها توخِّي أعلى درجات السِّرِّيَّة في العمل الاستخباراتيّ، والمحافظة على سرِّيَّة المعلومة ومصدريَّتها، وفيه دلالة على نجاح الدّولة في استراتيجيَّتها الأمنيّة.

لذلك، فإنّ مصدريّة الخبر المفترضة من قول الإمام

عليٍّ عليه السلام: «بلغني»، قائمة على واحدة من الحالات الثلاث التي مرَّ ذكرها، في أنّها سببٌ في نشوء وقيام الاستراتيجيّة الرّقابيّة، فقدْ يكون الجهاز الرّقابيّ الحكوميّ مصدراً لها، وهذا يدلُّ على أنّ للإمام عليٍّ عليه السلام أجهزةً حكوميّةً رقابيّةً فاعلةً ومتطوّرةً تعمل على استقصاء المعلومة الاستخباريّة، وتتبّع مواطن الخلل والفساد، وتقوم بنقل المعلومة الاستخباريّة بالدِّقَّة والسُّرعة، طالما تترتَّب على ذلك مصلحةٌ تخدم مشروع الدَّولة وتقوّم مساراتها، وإنْ كان المعنيُّ في هذه المعلومة الواليَ نفسَه، الذي يُعدُّ في قمّة الهرم الحكوميّ، وهو ما يعطي انطباعاً على أنّ الإمام عليه السلام قدْ أوجد سلطة رقابيّة تعمل على متابعة المسؤول؛ كونَه الأقرب إلى الفساد، والأكثرَ تأثيراً وإضراراً بالمصالح العامّة.

إنّ الذي يقف على الصِّفات والمؤهّلات التي يشترطها أمير المؤمنين عليه السلام في العمّال، يجد أنّه كان شديداً جدّاً، وحريصاً أشدَّ ما يكون الحرص بتوافرها في الشّخصيّة التي يقع عليها الاختيار؛ وذلك لخطورة مركزه، والسّلطة التي يتمتّع بها.

فالإمام عليه السلام يشترط في الوالي أنْ يكون من أهل التجربة والخبرة في الإدارة، ولا مكان لمَن لا خبرة له في المناصب الإداريّة، ويشترط فيه أنْ يكون من أهل الحياء والسّابقة، ومن بيتٍ صالحٍ[1].

ولمزيد من المعرفة في الشّروط الواجب توافرها في شخصيّة العامل (الموظّف)، نقرأ مقطعاً من عهده عليه السلام لمالكٍ الأشتر، قال: «ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ وَلَا تُمَحِّكُه الْخُصُومُ، وَلَا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ، وَلَا يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَه، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُه عَلَى طَمَعٍ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاه، وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الْأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيه إِطْرَاءٌ وَلَا يَسْتَمِيلُه إِغْرَاءٌ، وَأُولَئِكَ قَلِيلٌ»[2].

ومن خلال هذا النصِّ الذي يُظهر الرّؤية العميقة لأمير المؤمنين عليه السلام في استراتيجيّته الإداريّة، نستدلُّ على أنّه عليه السلام قدْ كانت له اليد الطولى في المعرفة بأهمّيّة الرّقابة وأساليب ممارستها-فعليّاً وبفاعليّة منقطعة النظير- والحثّ عليها، وبيان أهمّيّتها، وإعطاء أساليب وطرق بعضها من وحي القرآن، وبعضها مبتكرة، ولكنّها متّسقة مع تعاليم الدِّين الحنيف[3].

وذهب الإمام عليه السلام في رؤيته الإداريّة إلى أبعد من ذلك؛ إذْ إنّه يرى أنّه لا يكفي في حسن الظّنّ بالعمّال والرُّكون إليهم، مراعاة الدِّقَّة في انتخابهم، فإنّ الوجدان الطبقيّ لهؤلاء ينزع بهم نحو التسلّط وإظهار القوَّة، وحين يجري هذا الوجدان في غير مواضعه، يكون خطراً على الرّعيّة؛ لأنّه يدفع صاحبه حينئذٍ إلى الانحراف والزّيغ[4].

ويضيف شمس الدّين في معرض كلامه عن المنهج الرقابيّ للحاكم في منظور الإمام عليٍّ عليه السلام: « لأجل هذا يقرِّر الإسلام أنّ على الحاكم ألّا يغفل عن تعقّب هذه الطّبقة ومراقبتها، فيُلزمه بانتخاب رقباء من أهل الدِّين والمعرفة والأمانة، يبثُّهم في أطراف البلاد، ويجعلهم عيوناً له على عمّاله، يُراقبونهم في أعمالهم، ويرصدون مبلغ ما يتمتّع به هؤلاء من خبرة في الإدارة...، ثمّ يرفعون ذلك كلَّه إلى الحاكم، فيُنكِّل بالمنحرف الذي خان أمانته، ويستأديه ما حاز من أموال المسلمين، ويجعله عبرة لغيره، ويشجِّع الصّالح في نفسه، الصّالح في عمله، ويُرشد المخطئ إلى وجه الصَّواب»[5].

وعلى الرُّغم من أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قدْ أعطى لبعض عمّاله صلاحيّات واسعة في إدارة شؤون ولاياتهم، إلّا أنّه ارتأى أنّ الضّرورة تقضي عليه أنْ يوجِّه العامل نحو الابتعاد عن التأثّر بالمنصب والمال، وإنَّ أهمَّ ما يتوخَّاه هو الصِّيت الحسن والذِّكر الحميد، ومِن الحِكمة أنْ يتأثَّر مَن بيده مقاليد الأمور بالمؤثِّرات النفسيّة، فيكون عندئذٍ أظلم من الخصم، ومنتهى العدالة هو الإنصاف من النفس[6].

أمّا الفرضيّة الثانية للجهة التي تبنّتْ عمليّة إيصال المعلومة الاستخباراتيّة، فهي المجتمع، فيكون بذلك مصدراً من مصادر الرّقابة على عمل الحكومة وأداء مؤسّساتها، وذلك انطلاقاً -كما اسلفنا- من الوعي والشّعور بالمسؤوليّة الشّرعيّة والأخلاقيّة.

وتُعدّ هذه المصدريّة من الأهمّيّة بمكان؛ إذْ إنّها تبيّن سياسة العدالة، بل مشروع الدّولة العادلة الذي نهض أمير المؤمنين عليه السلام بمسؤوليّته انطلاقاً من تكليفه الشّرعيّ والأخلاقيّ تجاه الأُمّة في كونه إماماً لها أوّلاً، وحاكمها السّياسيّ ثانياً، وهو الأولى بإصلاح ما فسد من أُمورها وأحوالها، فإنّه قدْ أرسى في نفوس أفراد هذا المجتمع ثقافة الثّقة بالحاكم، والنّظر إليه بمنظور المصلح والسّاعي في شؤونها، وليس مجرّد الجلوس على عرش السّلطة، دون النظر والالتفات إلى حقوق الرّعيّة ومصالحها، واستطلاع مشكلاتها.

قال محمّد مهدي شمس الدّين في معرض كلامه عن مبدأ التعاون بين الحاكم والمحكومين: «لا يمكن أنْ يصلح شيء من أُمور الدّولة إلّا إذا وُجد جوّ صالح للعمل، ويوجد هذا الجوّ بتحقّق الرّغبة المشتركة بين الحاكم والمحكومين في إصلاح ما يفتقر إلى الإصلاح، وتقويم ما يحتاج إلى التقويم من شؤون البلاد، والذي يعبّر عن هذه الرغبة المشتركة هو تعاون الوالي مع الرّعيّة على القيام بذلك كلّه...، وعلى الوالي إذا حصل على ذلك كلّه أنْ يستغلّه في إصلاح شؤون رعيّته»[٧].

وعندما نجد أنّ المجتمع قدْ وصل إلى هذا المستوى من ثقافة سيادة النظام، فإنّنا نلمس أنّ هناك قيادة حكيمة واعية، استطاعت بحكمتها ووعيها وحنكتها السّياسيّة استجلاب أفراد المجتمع إليها، وربطهم بها، من خلال إيجاد وترسيخ علاقة الحبّ المتبادل بين الحاكم والمحكوم، وفق وسائل فاعلة ومؤثّرة.

ونلمس هذا المنهج في سياسة أمير المؤمنين عليه السلام وعلاقته بالمجتمع، التي يمكن وصفها بأنّها علاقة حبٍّ وإيمانٍ وعملٍ قائمٍ من أجل خيرها واستقرارها، وسعيه لعقلنة حضورها في ميدان الإصلاح وإقامة الحقّ؛ لأنّ رؤية الحقّ والعمل من أجلها توحّد الرابطة بين الحاكم والمحكومين، أفراداً وجماعة، في الحاضر والمستقبل، ومع هذا كلّه، فقدْ كانت النّوعيّة، وليس الكمّيّة هي التي تعني أمير المؤمنين عليه السلام [٨]. ولعلّ ما يؤثَر عنه في هذا الجانب يوضّح المعنى المراد، قال عليه السلام: «لا يزيدُني كثرةُ النّاس حولي عزّة، ولا تفرُّقهم عنّي وحشة؛ لأنّي محقٌّ، والله مع الحقّ، ووالله، ما أكرهُ الموت على الحقّ، وما الخير كلُّه بعد الموت إلّا لمن كان محقّاً»[٩].

والذي يلحظ قيمة المجتمع عند أمير المؤمنين عليه السلام ودوره في عمليّة بناء الدّولة، يجد أنّ الإمام عليه السلام يركّز هذه الحيثيّة، وإلى أيّ مدىً يستطيع المجتمع أنْ يكونَ عوناً وسنداً للحاكم في سعيه لإقامة العدل والحقّ، لاحظ في ذلك قوله عليه السلام: «وأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَه مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ، حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللهُ سُبْحَانَه لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لأُلْفَتِهِمْ، وعِزّاً لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوُلَاةِ، ولَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ، فَإِذَا أَدَّتْ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّه، وأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، واعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، ويَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ، وإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِه، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وكَثُرَ الإِدْغَالُ فِي الدِّينِ، وتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وعُطِّلَتِ الأَحْكَامُ، وكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ، ولَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ، فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الأَبْرَارُ، وتَعِزُّ الأَشْرَارُ،



وتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللهِ سُبْحَانَه عِنْدَ الْعِبَادِ، فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ، وحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْه»[10].

وقال في التعاون بين الرّاعي والرّعيّة: «ولَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّه عَلَى عِبَادِهِ، النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، والتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ. ولَيْسَ امْرُؤٌ وإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُه، وتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُه، بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَه اللَّه مِنْ حَقِّه، ولَا امْرُؤٌ وإِنْ صَغَّرَتْه النُّفُوسُ، واقْتَحَمَتْه الْعُيُونُ، بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْه»[11]. أمّا في خلاف ذلك، فإنّ الإمام عليه السلام يتّجه نحو نقد الخمول والنكوص والتثاقل الذي يظهر عليه المجتمع في فترات معيّنة، وكانت تترك أثرها الكبير في عرقلة المشروع الحضاريّ الذي كان يسعى إلى تحقيقه، جاء في نهج البلاغة: «أَلَا وإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، لَيْلًا ونَهَاراً، وسِرّاً وإِعْلَاناً... فَتَوَاكَلْتُمْ وتَخَاذَلْتُمْ،... فَيَا عَجَباً، عَجَباً واللهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ، ويَجْلِبُ الْهَمَّ، مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، فَقُبْحاً لَكُمْ وتَرَحاً، حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى،... يَا أَشْبَاه الرِّجَالِ ولَا رِجَالَ، حُلُومُ الأَطْفَالِ، وعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ،... لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً، وشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً، وجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً، وأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ والْخِذْلَانِ»[12].

يُعطينا هذا النّصّ صورة مقارنة بين إرادة القائد في ضرورة قيام المجتمع بدوره الإصلاحيّ من جهة، وبين مجتمعٍ تواكَل وتخاذَل عن القيام بدوره التغييريّ الإصلاحيّ، بل إنّه لم يُساند المشروع الإصلاحيّ الذي نهض به أمير المؤمنين عليه السلام، ما جعل هذا المجتمع عُرضة للمشكلات والأزمات، بل أخذَ يتسافل في مواقفه، ويفقد إرادته، ويُصبح تابعاً لإرادة الطّغاة والطّلقاء ومن على شاكلتهم، بعد أنْ أعزَّهم الله تعالى بأنْ جعلهم أنصاراً لأمير المؤمنين عليه السلام، وجعل مصرهم (الكوفة) عاصمة لدولة الإسلام.

لقدْ كان هذا الموقف -كما يبدو- من أشدِّ المواقف على أمير المؤمنين عليه السلام؛ إذ لم نعهده يتكلَّم بهذه اللُّغة التي ملؤها الألم والحسرة، مع كثرة المواقف المؤلمة التي مرّ بها ومرّت عليه، وهذا ما يُشعرنا إلى أيِّ مدىً عرقلتْ هذه المواقف مشروعه الحضاريّ والأهداف الكبيرة التي كان ينتظر تحقّقها بعد أنْ تولّى حكم الدّولة الإسلاميّة، ولكن، وكما يبدو من واقع الأحداث، أنّ الأمّة لم تكن مستعدّة لتقبّل مشروع بهذا المستوى؛ لأنّها -كما يظهر- قدْ تقولبتْ في قالب السِّياسات السّابقة.

لقد ابتعد موقف المجتمع هذا عن دعوة النّبيّ صلى الله عليه وآله التي نصَّ عليها في الحديث المرويِّ عنه صلى الله عليه وآله:«مَن رأى منكراً فلْيُغيِّره بيدِهِ، فإنْ لم يستطِع فبلسانِهِ، فإنْ لم يستطِع فبقلبِهِ، وذلك أضعفُ الإيمان»[13].

وبطبيعة الحال، فإنَّ تقييم المجتمع عند أمير المؤمنين عليه السلام يقوم على مستويات ثلاثة (ستأتي)، عند الاطلاع عليها نجد تلك النّظرة العميقة الفاحصة، والتشخيص الدّقيق لاتجاهات المجتمع ومستوياته، وهذا يدفعنا إلى الاعتقاد ثمَّ القول بأنّ تقييماً بهذا المستوى يُمكِّن صاحبه مِن وضع الاستراتيجيّات الفاعلة التي تتناسب وكلَّ مستوىً من هذه المستويات.

أمّا تلك المستويات، فهي كما جاء في نهج البلاغة، قال عليه السلام: «النّاسُ ثلاثةٌ: فعالمٌ ربّانيٌّ، ومتعلِّمٌ على سبيلِ نجاة، وهمجٌ رعاعٌ أتباعُ كلِّ ناعقٍ، يميلونَ معَ كلِّ ريحٍ، لم يستضيئوا بنور العِلم، ولم يلجؤوا إلى ركنٍ وثيقٍ»[14].

والواضح من هذا التقييم والتقسيم أنّ التاكيد تركَّز في بعدين، هما: العِلم، والجهل، فجعلهما المعيارين اللَّذين تُقاس عليهما قيمة الإنسان ومدى فاعليّته في المجتمع.

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يُدرك بالبصيرة النافذة أنّ المجتمع لم يكن كتلة واحدة من حيث النوعيّة ومن حيث

الجنس، وكان عليه السلام يعلم قيمة العلم وتأثيره في صياغة مواقف الأفراد الإيجابيّة منها والسّلبيّة، ولعلّه عدَّ تلك الجماعات غير المتفاعلة مع مشروعه التغييريّ، أو تلك التي وقفتْ بوجهه وعرقلتْ عمليّة النّهوض به، من صنف أو مستوى الهمج الرُّعاع، الذين لا يملكون الإرادة، ويفتقدون أدوات التّشخيص والتّمحيص، فأصبحوا ينعقون مع كلِّ ناعقٍ.

وهذا القول لا يعني الإطلاق، بل هو نسبيٌّ، لكون تلك المجاميع (الهمج الرّعاع)، لا تشكِّل جوهر المجتمع، وليست هي الجماهير بتمامها، بل هي شرائح اجتماعيّة رهينة شروطها الفكريّة والذاتيّة، وأُولئك الهمج الرّعاع أعداء كلّ تقدّم وتطوّر واستقرار، يعاكسون إرادة الحقّ، ومسار العلم، واتجاه العدل، ويكونون خَدَمة للظالمين، وأداة لتنفيذ إراداتهم[١٥].

إذن، فالنوعيّة التي يبحث عنها أمير المؤمنين عليه السلام من بين المجتمع، هي تلك النوعيّة التي تُدرك حقيقة دورها في بناء الدّولة، وتُسهمُ إسهاماً فاعلاً في إقامة العدل ومحاربة الظلم، وكشف ما يطرأ على المجتمع من مشكلات. إنّ وجود مثل هكذا نوعيّة من أفراد الأمّة سيكون عامل قوّة للدّولة، يزيد من فاعليّتها، ويضمن لها تحقّق استراتيجيّاتها المستقبليّة في مختلف المستويات.

ولنا أنْ نتصوَّر وجود هذه النوعيّة الواعية المدركة لدورها الشّرعيّ والأخلاقيّ، إلى جانب قيادة عملاقة تحمل من الفكر ما يعجز عنه الآخرون، كقيادة أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّه بلا أدنى شكٍّ سوف تتحقّق جميع الأهداف المرسومة في بناء الدّولة، وتمتدّ سلطتها في محاربة مواطن الخلل والفساد الإداريّ، وتظهر ملامح الدّولة العادلة بأجلى صورها.

وفي ضوء جميع ما تقدّم، نجدُ أنّ المجتمعَ الواعي بدوره الشّرعيّ والأخلاقيّ يكون مصدراً أساسيّاً من مصادر المعلومة الاستخباريّة، بل قدْ يكون الأقرب للواقع؛ إذ إنّ منهج العدل وتطبيق الأحكام الشّرعيّة وإقامة الحدود وتمكين الحقّ الذي عرف عن أمير المؤمنين عليه السلام وعدم توانيه في محاربة الفساد أين ما حلّ، والبحث عن عوامل قيام الدّولة واستدامة المشروع الإلهيّ، هذه الأمور جميعها حفَّزتْ الأفراد الذين يملكونَ وعياً وإدراكاً عميقاً بهذا المشروع إلى إيصال المعلومة الاستخباريّة.

ولعلّ من النّقاط المهمّة والإشارات اللّطيفة التي يُمكن أنْ نستشفَّها من هذه المصدريّة، هو انعدام الحواجز والحواجب السّلطويّة التي تحجز وتحجب المجتمع الواعي عن قيادته للوصول إلى مركز الحكم، أو إنّها تقف حائلاً أمامهم لإيصال المعلومة الاستخباريّة، وهذا ما يعزِّز القول بأنَّ مصدريّة المعلومة جاءتْ من المجتمع الواعي.

الهوامش

١- يُنظر: محمّد طي، الإمام عليّ ومشكلة نظام الحكم: ص١٧٦.
٢- نهج البلاغة، الكتاب رقم (٥٣)
٣- يُنظر: عيسى مكّي عبد الله، نظريّة التنظيم والإدارة في فكر الإمام عليّ: ص٣١٤- ٣١٤.
٤- يُنظر: شمس الدّين، دراسات في نهج البلاغة: ص٩٦.
٥- يُنظر: شمس الدّين، دراسات في نهج البلاغة: ص٩٦ - ٩٧.
٦- يُنظر: توفيق الفكيكي، الرّاعي والرعيّة: ص ٥٧- ٥٨.
٧- دراسات في نهج البلاغة: ص٩٧.
٨- يُنظر: عزيز السيّد جاسم، عليّ سلطة الحقّ: ص٣٨١ - ٣٨٢.
٩- الثقفيّ، الغارات: ٤٣٣/٢.
١٠- نهج البلاغة، الخطبة (٢١٤).
١١- نهج البلاغة، الخطبة (٢١٤).
١٢- نهج البلاغة، الخطبة (٢٧)
١٣- السّرخسيّ، المبسوط: ٢٧/٢، والسُّنن الكبرى، للبيهقيّ: ٩٠/١٠.
١٤- نهج البلاغة، الحكمة رقم (١٣٧).
١٥- يُنظر: عزيز السيّد جاسم، عليّ سلطة الحقّ: ص٣٨٥.

عليّ بنُ محمّد الماورديّ البصريّ (ت ٤٥٠ هـ) ورأيُه في مسألة الإمامة وفقَ كتابه (الأحكام السلطانيّة)



أ.د. رحيم حلو محمّد البهادلي
جامعة البصرة / كليّة التربية للبنات

اختلف المسلمونَ على اختلاف توجّهاتهم المذهبيّة في مسألة الإمامة؛ إذ لم تتّفق كلمتُهم على صيغة معيّنة، فالشيعةُ الإماميّة لهم رأيٌ فيها، وأبناءُ العامّة لهم رأي مغايرٌ، والجميعُ يعتمدون في إثباتها وتعريفها على ما جاء في القرآن الكريم والحديث والسنّة النبويّة الشريفة كلّاً حسبَ تفسيره واعتقاده، وأمّا الماورديُّ هنا، فله رأيٌ في الإمامة يميل في جانب منه إلى فريق، وفي جانب آخر إلى فريق آخر، وقبل التطرق إلى رأيه في الإمامة في كتابه (الأحكام السلطانيّة والولايات الدينيّة)، لا بد من التعريف بهويّته؛ ففي ذلك علاقةٌ كبيرة بما ذهب إليه في تلك المسألة، فالماورديُّ هو أبو الحسن عليّ بن محمد بن حبيب، المعروف بالماورديِّ في الأوساط العلميّة، وُلد الرجلُ في مدينة البصرة عام ٣٦٤ هـ، ونشأ في ربوع تلك المدينة العريقة في العلم والفكر والمعرفة، وفي ظلّ جوٍّ سادت فيه كلُّ أجواء العلم والمعرفة على اختلاف المذاهب الإسلاميّة في ظلّ الحكم البويهيّ للدولة الإسلاميّة، وينتمي الماورديُّ إلى المذهب الشافعيّ، وكان قاضياً، فقيهاً، أديباً، مفسّراً، محدِّثاً، ثمّ سياسيّاً في ظلّ الحكومة البويهيّة على حدّ الإشارة، بيد أنّنا لم نشهد له نشاطا سياسيّاً بارزاً، وربّما وُصفَ بتلك الصفة لتولّيه القضاءَ في البصرة وبلدانٍ أخرى كثيرةٍ، لينتهي به المطافُ بأن يكون أقضى القضاة في بغداد، وبالتالي، فإنّ من يتولّى القضاءَ، لابدّ أن يرتبط إداريّاً، ويحمل صفة السياسة للدولة آنذاك؛ إذ كان الماورديُّ يتمتّع بالمكانة المتميّزة لدى الملوك البويهيّين، وكان جليلَ القدر عند الدولة يومذاك.

تتلمذ الرجلُ على مجموعة من علماء عصره في البصرة وبغداد، ومنهم الحسن بن عليّ الجبليّ، ومحمّد بن عديّ المنقريّ، وجعفر بن محمد بن فضل وغيرهم، وتفقّهَ على يد الفقيه أبي القاسم الصيمريّ في البصرة، ودرس فيها سنينَ كثيرةً، ثمّ انتقل إلى بغداد في عام ٤٣٠ هـ، فسكنها، واستقرّ فيها، ودرسَ فيها أيضا، وأخذَ عنه الخطيبُ البغداديُّ، وعدَّه من الثقاة، وقد ترك لنا الماورديُّ مجموعةً من المؤلّفات المتنوّعة، ولعلَّ أبرزَها كتابُ الحاوي الكبير، الذي كان يعنى بالتبحّر ومعرفة المذهب الشافعيّ، وكتاب النكت والعيون، وهو مخطوط، وكتاب أدب الدنيا والدين، والكتاب مطبوع ومتداول حاليّاً، وكتاب الأحكام السلطانيّة، الذي يتناول الأمور الدينيّة والتشريعيّة، وغيرها من المؤلّفات الأخرى في الفقه والأصول والتفسير، وتوفّي الماورديُّ في بغداد عام ٤٥٠ هـ، يوم الثلاثاء من شهر ربيع الأوّل عن عمر ناهز الستّة والثمانين.

لقد طرح الماورديُّ أموراً كثيرةً في كتابه الأحكام السلطانيّة، بعضُها يتعلّق بالدّين، والأخرُ تتعلّق بالاقتصاد الإسلاميّ، وأخرى تتعلّق بالدّين والسّياسة معاً، ونحن هنا بصدد الحديث عن مسألة الإمامة، فقد طرح الماورديُّ الإمامةَ بمفهومين، وهو يعتقد أنّه طرحَها بمفهوم واحد؛ فقد قال عن الإمامة ما نصه: "الإمامةُ موضوعةٌ لخلافة النبوّة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمّة واجب بالإجماع وإن شذَّ عنهم الأصمّ"، ثم استشهد بالآية الكريمة التي تقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، ثم قال: «ففرض علينا طاعة أولي الأمر فينا وهم الأئمّة المأتمرون علينا»، دون أن يبيّن من هم الأئمّة المعنيّين، ومستشهداً أيضا بقول الرسول الكريمﷺ بحديث نبويّ مسند عن أبي هريرة: « سيليكم بعدي ولاةٌ، فيليكم البَرُّ ببرّه، ويليكم الفاجرُ بفجوره، فاسمعوا لهم وأطيعوا في كلّ ما وافق الحقّ، فأن أحسنوا، فلكم ولهم، وإن أساءوا، فلكم وعليهم».

ونجد الماورديَّ هنا يكيل بمكيالين؛ فمن جهة يعترف بأنّ الإمامةَ خلافةُ النبوّة، ومن جهة أخرى يجوز للفاجر ولايةُ الإمامة، وقد نوه به في الآية الكريمة وما استشهد به من حديث للرسول الكريم ﷺ، والأكثر من ذلك، نجد الماورديَّ يورد شروطا عدّة في من تقع فيه الإمامة، منها: العدالةُ، والعلم المؤدّي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام، وسلامةُ الحواسُ من السمع والبصر، وفصاحةُ اللسان، وسلامةُ الأعضاء، والذكاءُ المفرطُ، والشجاعةُ، والنجدة، والنسبُ؛ إذ لا بد أن يكون الإمام حصراً من قريش، وغيرها الكثير.

وعند العودة إلى مفهوم الإمامة عند الماورديِّ، نجد أنَّ المسألةَ كبيرةٌ جدا، فلا تقتصرُ الإمامة-على الدين، وإنما هي أمرٌ يجمع الدينَ والسياسةَ، بمعنى: أنَّ الإمامَ يقضي بشؤون الدين وأمور السياسة العليا، أي: مسألة الخلافة؛ لأنَ الإمامةَ كما قلنا هي خلافة الرسول الكريمﷺ في كلّ صغيرة وكبيرة؛ فمثلما كان النبيُّ محمدٌﷺ خليفةَ الله في الأرض، وهو المسؤول عن إدارة شؤون الرعيّة من المسلمين باعتباره خاتم الأنبياء، وهو مختار من الله عزّ وجلّ، فلا بدّ أيضا أن يكون الإمامُ هو خليفة الرسولﷺ في الأرض، ويقوم بجميع المهامّ التي أنيطت بالرسول (ص)، وهو مختار من قبل الرسول الكريمﷺ.

وحين العودة إلى ما طرحه الماورديُّ عن مسألة الإمامة، نجده بعيداً جدّاً عنها، وليس له أيّ علاقة لا من قريب أو بعيد بمسألة الإمامة، اللهمّ إلّا من حيث التعريف والشروط، وأمّا استشهادُه بالآية في قوله تعالى: « ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»، فالمقصود هنا وفقَ ما ذهب إليه غالبيّة المفسرين أنّ الطاعة أوّلاً للرسول الكريمﷺ، وثانياً للأوصياء، وهم الأئمّةُ المعصومونعليهم السلام؛ فقد أورد العيّاشيُّ أنّها نزلت في الإمامَين: الحسن والحسينعليهما السلام، وقيل: إنها نزلت في الإمام عليٍّعليه السلام، أو أنّها نزلت في الأئمّة المعصومينعليهم السلام بشكلٍ عامّ؛ وذلك استنادا إلى قول الرسول الكريمﷺ: «أوصيكم بكتابّ الله وأهل بيتي، إنّي سألتُ اللهَ أن لا يفرّق بينَهما حتّى يوردَهما على الحوض، فأعطاني ذلك»، ولو سكت النبيُّ ﷺ عن ذلك، لادّعى بها بقيّة بطون بني هاشم.

وأمّا حديثُ الرسول الكريمﷺ المنقول عن أبي هريرة المتقدّم الذكر، فهو مطعونٌ فيه من جهتّي السند والمتن؛ فكلاهما لا يصحّان عن النبيّ ﷺ، فمن ناحية السند، هو مطعونٌ فيه بأبي هريرة؛ فالرجل مطعونٌ فيه، وقد جرحتهُ كتبُ الجرح والتعديل، ثمّ إنّه اتُّهم بأموالِ البحرين في ولايته عليها في عهد عمر بن الخطّاب، وعاقبه عمرُ على ذلك، وعَزلَه.

وأمّا متنُ الحديث، فهو لا يتّفق إطلاقاً مع مفهوم الرسالة المحمّديّة الطاهرة التي جاء بها النبيُّ الأكرمُ؛ إذ كيف يأمرُ الرسولُ الكريمُﷺ المسلمين باتّباع الأئمّة الفاجرين حتّى لو قالوا حقّاً إن كان لديهم نصيبٌ من الحقّ، فهل جاء الإسلامُ ليتأمر به الفسقةُ والفاجرون؟! أو ليتأمّر فيه من اعتدى على حرمة رسول اللهﷺ؟! أو مَن صادر الحقوقَ الشرعيّةَ الاقتصاديّةَ والسياسيّةَ لآل بيت رسول اللهﷺ؟! فذلك الحديث هو في عداد الموضوعات؛ بهدف تبرير حكم من ليسوا بأهل للحكم، وتسلّطهم على رقاب المسلمين، بحيث لا تبقى الإمامةُ حصرا على آل البيتعليهم السلام.

وأمّا الشروطُ التي أوردها الماورديُّ، التي عدّها من ضمن الواجبات التي يجب أن تتوفّر في الإمام، فقد ناقض فيها نفسَه بنفِسه؛ فإنَّ جميعَ تلك الشروط مما لم يتوفّر أبدا في جميع الخلفاء عدا الإمامين: عليٍّ والحسنعليهما السلام؛ فقد شهدنا في من تولّى الخلافةَ من كان فيه عاهةٌ معيّنةٌ؛ كفقدان السمع والبصر والنطق، ومن كان غبيّاً وجباناً، ومن كان فاقداً للمروءة، ومن كان عاجزا عن إدارة شؤون الرعيّة ولا يفقهُ شيئاً، ونحو ذلك على مرّ العصور الإسلاميّة، فعن أيّةِ إمامة يتحدّث الماورديّ؟!





مع الشاعر البصريّ الأديب
محمّد عليّ إسماعيل
(١٩٢٤-٢٠٠٢م)

إعداد: محمد صالح عبد الرضا

كنتُ أُسجِّل في دفتر ملاحظاتي منذ بداياتي الأدبيّة والصّحفيّة عام(١٩٦٤م رؤوس أقلام عن أُدباء لهم عمقهم وجذرهم وإيقاعهم في هذه المدينة الشمّاء (البصرة (، يدفعني حرصي إزاء التاريخ الذي يستفزّ أعماقَه بملامح متميّزة عن أقلامٍ لها وعيُها الأدبيّ والجماليّ، ولها مواقفها في مناطق الضّوء، أو بعيداً عن الضّوء؛ إذْ يبرز عندهم مسار الصّمت أو العزلة، ولكن، لا تتوقّف لديهم غريزة الإبداع، ولا هاجس الكتابة الملِحّ.

ومن بين أولئك الأدباء البصريّين صديق السَّيّاب الأقدم (محمّد علي إسماعيل)، الذي كان لا يُذكر بين معارفه إلّا ويُذكر السّيّاب، الذي صحبه منذُ نشأته وصباه... هذا الرّجل شاعر وجدانيٌّ سجّل شعرُه انتفاضاتِ قلبِه وذكرياتِه الذاتيّة،

وتربويّاً، عُرف مدرِّساً للّغة العربيّة، ومشرفاً تربويّاً من طراز عريق، أتذكَّر حين عملتُ سكرتير تحرير جريدة (المرفأ) البصريّة، وكنّا نعدّ عدداً خاصّاً في الذِّكرى الثالثة عشرة لوفاة السّيّاب عام ((١٩٧٧م، ذهبتُ إلى ثانويّة أبي الخصيب لألتقيه، وكنتُ قرأتُ عنه في بعض الكتب والمقالات التي تتحدَّث عن السّيّاب، وسمعتُ من رجالٍ زاملوه شيئاً عن طيبته الجنوبيّة، وأحاديثه الطريفة، وقدْ نشر اللِّقاء الذي سجّلتُه وقتذاك في جريدة (المرفأ) كانون الأوّل (١٩٧٧)م، كان يلتقط انطباعاته وخواطره عن السّيّاب وتجربته وحياته، تحوم في ذهنه الذكيّ ذكريات يستبطن أغوارها بين طرفة وحيويّة ومزاج انبساطيّ، وإذا خرجنا عن موضوع السّيّاب، لمستُ لديه دفاعاً أصيلاً عن اللّغة السّليمة الصّحيحة، وقواعدها، وتركيب بنائها، وخصائص أدائها، متنكِّراً السّماجة في اختيار الكلمات، والتنافر في الجملة، والاضطراب في المعنى، عند بعض مَن يكتبونَ ويُخطئونَ عن جهل.

لقدْ ظلَّ الأديب الرّاحل) محمّد عليّ إسماعيل) لفترة من الزّمن بعد رحيل السّيّاب أكثر عُرضة للقاءات صحفيّة، ومراسلات أدبيّة. إنّه يمتلك ذاكرة عجيبة تحفظ تفاصيل حياة السّيّاب..

ماذا تقترح؟ فقال: أقترح أنْ تكون مِن بين فقراته فقرة بعنوان: (أُناسٌ عاصروا السّيّاب)؛ ليتحدَّثوا عنه، وأقترح -كذلك- أنْ يقدَّم (الفنّان الأعمى) و (هو عازف على النّاي من أبناء قرية الحمزة)، ومرّة سهرنا معه في ليلةٍ قمراء، وكان(بدر) من بيننا، هذا الفنّان اسمه (مُويح)، تصغير كلمة(مايح)، وكان (بدر) يجلس مع(مويح) على تلّة جيكور، ويسمع منه معزوفاته البسيطة، وسألتُه: أنت بحكم مزاملتك الطويلة لبدر لابدَّ من أنّك شهدتَ ميلاد بعض قصائده، فهل تتذكّر ميلاد قصيدةٍ ما؟ فقال: أتذكّر حينما كنّا في دار المعلّمين العالية، ذهبتُ مع) بدر (إلى الأعظميّة، وكان يستعدّ للقاءٍ مهمٍّ بعد فراقٍ، وكنّا أنا و(خالد الشوّاف) ننتظر عودته مِن لقائه، فرجع إلينا مهموماً، ولأوّل مرّة يبكي بكاء الأطفال، وبعدها بساعاتٍ كتب قصيدته: (اللِّقاء الشَّاحب)، التي يقول فيها:

هُنَّ قلبٌ غشاؤه أصفرُ التِّبـ رِ ودقَّاتُهُ ونين الغشاءِ
لاأُريدُ الضَّمادَ من هذه الأيـ دي فإنَّ الضَّمادَ مِن كبريائي

رحم الله (السّيّاب)، و (محمّد عليّ إسماعيل)، الذي فارقنا قبل أعوام، ولكن، لم تفارقنا همساتُه العَذبة، ونتوسَّم بولده صديقنا الشّاعر (قاسم محمّد عليّ إسماعيل) أنْ ينشر ديوانَه المخطوط وآثاره الأُخر.



ثلاث محطات مزبدية

(المحطّة الثانية)

عادل علي عبيد

البادية الغافية التي نامت على إنشادِ الشعراء وخُطب الخُطباء العَصماء ودروسِ اللغة والأدب والبيان، مازالت تحتفظُ بأصداء الأمس، ونشوة البيان، وأطوار التفعليّة.. المنصّاتُ، التكايا، الحلباتُ الواسعةُ، ستغص من جديد بفرسان البَلاغة والأدب والشعر، فُرسانُ الفلسفة والعِرفان والتصوُّف.. فتكايا المتصوِّفة، ومساجلاتُ إخوان الصَّفا، وحلقاتُ المعتزلة هي فعاليّاتٌ وبرامجُ تنتصبُ هنا وهناك على هامش الحَدَث الكبير، حدثِ الشعرِ الذي يتصدّرُ المشهدَ الثقافيَّ الملتهبَ، فالبصرة التي تموج بالإبداع تتطلَّعُ ليومٍ جديد حافلٍ بلقاء العمالقة الذين يعدَّون العدّةَ للّقاء التاريخيّ الذي يزخرُ بالأرقِ والأفضل والأغرب.. بعدما تجمهرَ أهلُ البصرة وهم جماعاتٌ ومِلَلٌ أثّرت بهم السياسةُ والحركاتُ الدينيّةُ والفكريّة، وعَصَفت بهم أهواءُ الشعر والغناءِ

والبلاغةِ والبيان، وانعزلَت على شكل أحياءٍ، كلّ حيٍّ يثقّف لقناعة فكريّةٍ يتفاخرُ بها، ويتغالى بأسماء صُنّاعها.

وهي تستذكرُ أمجادَها السالفة، وماضيَها العتيدَ الزاخرَ، وما أنتجه رجالُ فكرِها، وفرسانُ آدابِها، ودعاةُ فلسفتها.. هكذا يُمسي الفكرُ والأدبُ وكلُّ فنٍّ ثقافيٍّ متنفَّسا لهذه المدينة، وأملَ مدنها، ونشيدَ أقوامها..

سيُعلن بعد سُوَيعاتٍ عن بدءِ سباق الفِكر، سيفتح المِربدُ كعادته صدراً من أَلَق الشّعرِ، وباباً رَحْباً يسع كلَّ القلوب المحبّةِ للأدبِ والفنِّ والجمالِ، سيُعلنُ عن انطلاقِ المِنبر الاعلاميِّ الحرِّ الذي يلتقي به الشعراءُ ويرتقون منصّةَ الإبداعِ تحتَ مباركةِ وصيحاتِ المؤازرينَ والمشجِّعينَ والمتعصّبينَ لنيلِ الدرجاتِ العُلى في الشعر. سينطلق الشعرُ معبّراً عن المواقفِ الرافضةِ للجورِ والتسلُّط، رافضاً سياسةَ إلغاء الآخر واقصائه، ومؤيّداً لموقف الشُّرفاء والعمّال الذين ينشُدونَ البناءَ والصلاحَ وإقامةَ دولة العَدل والإنسان.

هكذا تزدحمُ المواقفُ والتأييداتُ والمقاطعاتُ في عَهد الدولة الأُمويّةِ، بل حتّى العباسيّة. سيعبّرُ الشعرُ عن الأوقات العصيبةِ، والمراحلِ الراهنةِ، والمواقفِ القاهرةِ.. سينطلقُ برمزيّته أو وضوحِه لا بأس! المهمُّ أن يعبّرَ عمّا يموجُ في ثنايا المجتمع ودخيلة الأقوامِ. سيصدحُ قولُ الأخطلِ وسطَ الجموع ليعبّرَ عن حالةٍ عجزَ المجتمعُ عن قولِها! نعم، هكذا يكون الشعرُ حالَ ما تخفي صدورُ الناس، فهو الذي يكسرُ الأطواقَ، ويفتّتُ الحُجُبَ، ويمزّقُ الشرانقَ ليقولَ قولتَه؛ معبّراً عن الفعل الجماهيريّ المؤجّل. إذن، فهوَ كعادتِه يسبقُ التطلُّعات، ويصبُّها بجرأةٍ في دائرة الأحكام التسلُّطيّةِ. القومُ الذين تجمهروا في ساحة المربدِ يدركونَ جيّداً أنَّ الشعرَ هو حالُهم الاوّلُ الذي يضعون على مَحمِلِه بضاعتَهم، ويودِعونَ في دخيلتِه آمالَهم وتطلُّعاتِهم، وكيفَ لا، وفرسانُ القولِ هم من قالوا فيهم: «جرير يغرفُ من بَحر، والفرزدقُ ينحتُ من صخر»؟!

الفرزدقُ المعتدُّ بآبائِه ومآثرِ قومِه وسجايا عشيرته ومناقبِ قبيلتِه.. وكيفَ لا، وهو العزيزُ نفساً، العميقُ كرماً، (فإذا باع إبلَه نثرَ أموالَها على الناس ليَنتَسبَ فيهم، وظلَّ يجيرُ على قبرِ أبيهِ غالبٍ على نحو ما كان أجدادُه يجيرون)؟! وجريرٌ المنحدرُ من كُلَيب اليَربوعيّة، الذي كان ضمنَ عشيرةٍ تصدحُ بشعرِها المتوارَثِ وأخلاقِها البَدَويّة مثارَ الاعتزازِ والايثارِ وحمايةِ الجار والذبِّ عن المظلوم.. إذن، نحن امام شاعرَين وَرِثا الإباءَ، وعَرَفا النخوةَ، وزُقّا قيمَ البطولة والحرب..فأيّما درر تخرج من افواه رَضَعت قيمَ البطولة والمجد والإباء؟ وأيّ قولٍ أو شعرٍ سيخرج من هذه الألسن التي تصدح بالعِظات والدلالات؟ ينقل الأصمعيُّ عن جَرير: «أنه كان ينهشُه ثلاثةٌ وأربعون شاعراً، فينبذُهم وراءَ ظهره، ويرمي بهم واحداً واحدا..».

(ألستُم خيرَ مَنْ رَكِبَ المطايا
وأندى العالمين بُطونَ راحِ)

وهكذا، وخلالَ ثلاثِ سنواتٍ (١٤ - ١٧ هجرية)، أي: منذ نزول العَرَب البصرةَ وحتّى تمصيرِها، وبفضل المربدِ الذي يربط دخولَ الوافدينَ الى البصرةِ، التي هي أوّلُ ما ينزلون إذا قَصدوها، وآخرُ ما يتركون إذا رحلوا عنها، غيّر المربدُ مستوى التفكير ونمطيّته، مستفيداً من تجربة الدّين الجديد وسلسلةِ الفُتوحات التي قامت بها الجيوشُ الاسلاميّةُ، والتقاء المسلمين بحضاراتٍ وثقافاتٍ جديدة، فأصبح مكاناً ممهّداً لصناعة القرار الجماهيريِّ الذي يضغطُ على إرادة الدولة؛ لأنّه خيرُ مَن يُفصِحُ عن تطلُّعات الناس وآمالِهم، فهو هنا صانعُ قرارٍ لا مَحالة.

جانبٌ من رحلات الأب بارثيلْمي كاريه في العراق والخليج العربيّ (١٦٦٩-١٦٧٤)

القسم الأول

إعداد: ياسين اليوسف

مقتبسٌ من كتاب رحلات الأب بارثيلمي كاريه في العراق والخليج العربيّ وبادية الشام (١٦٦٩-١٦٧٤)، ترجمة وتحقيق: د. أنيس عبد الخالق محمود، وخالد عبد اللطيف حسن.

بارثيلمي كاريه (بالفرنسية: Barthélemy Carré) (ولد عام ١٦٣٦م - توفي في نهاية أو بعد نهاية القرن ١٧)، رجل دين ورحالة فرنسي قام برحلة نيابة عن فرنسا وشركة الهند الشرقية الفرنسية.

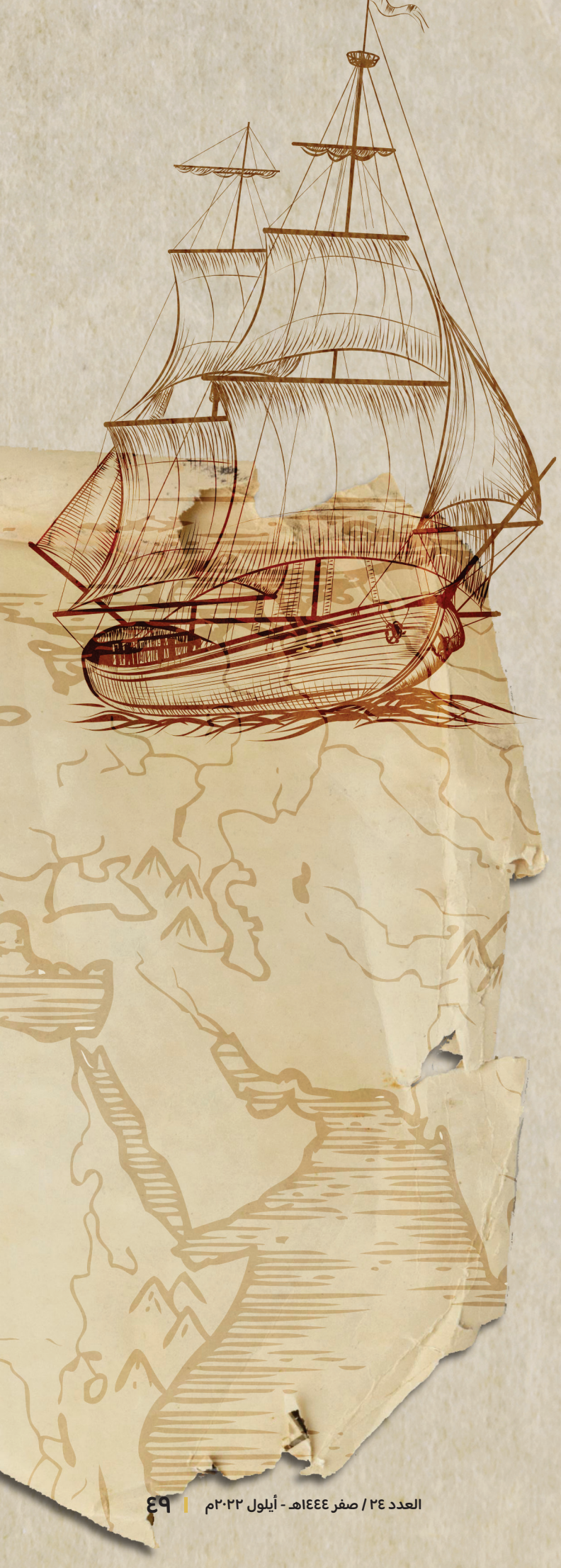
الرحلة كانت في (مارس/آذار ١٦٦٨) غادر كاريه بحراً نحو الهند، مبحراً على طول الساحل الغربي من الشمال إلى الجنوب، وبعدها سافر مع قافلة إلى بلاد ما بين النهرين فوصل البصرة، ثم رجع إلى سورت[1]، ومنها أرسله (فرنسوا كارون)[2] إلى فرنسا، عن طريق البر للوصول إلى البحر الأبيض المتوسط، فغادر السفينة وعبر إلى بلاد فارس، زار بلاد ما بين النهرين، ومنها وصل إلى لبنان التي تقع على البحر الأبيض المتوسط ومنها أبحر إلى مارسيليا، ثم وصل فرنسا في نهاية عام (١٦٧١). لم يبق في فرنسا فترة طويلة حيث أرسل إلى الشرق مرة ثانية، يقول:

كان إبحارُنا من (بندر عباس) حتّى (شطّ العرب) مريحاً جدّاً؛ إذ وصلناه بمساعدة تيّار المدّ خلال يومين، حتّى وصلنا مقابل مدينة البصرة، التي تبعد عنه نحو ستّين فرسخاً. والأرض هنا مستويةٌ ومنبسطة، وبدت لي أجملَ بقاع العرب، وأكثرَها سحراً. ويمكن لهذا النهر الجميل العريض العميق [شطّ العرب] أن يحمل أكبر السفن الشرقيّة المحمَّلة بالتوابل والبضائع الباهضة الثمن حتّى هذه المدينة المشهورة، البصرة.

الدخول إلى شطّ العرب

عند دخولنا، ارتفع منسوبُ المياه، وغمر البرَّ لمسافة ثمانين فرسخاً، فتزحزحت السفنُ نحو بساتينَ ملأى بأشجار مثمرة تنتشر على ضفّتيه. وما يضفي على هذه الأشجار فتنةً طوال السنة أنّها مغطاةٌ بأوراق الأزهار والأثمار التي زادت منظرها ورائحتها سحراً. وغالباً ما كنّا نرى هذه الأشجار مزدانةً بالليمون، البرتقال، الرمان، الزيتون، الفستق، اللوز، الخوخ، المشمش، التفّاح، والكمّثرى... إلخ.

ويقوم العرب وهم السكّان الأصليّون للبلاد بزراعة



الكروم وغيرها من الأشجار المثمرة الكبيرة اللذيذة جدّاً، وكلُّها تُسقى عبر قنوات صغيرة تفصل البساتين عن القرى المحاذية لضفاف الشطّ.

وبسبب شدّة الحرّ طوال السنة، تتيبّس الأشجار والشجيرات الصغيرة التي ذكرتها[٣]، فيقوم الأهالي بزراعتها بين غابات النخيل الباسق المحمَّل بالتمر العالي جدّاً، الذي تشكّل سعفاته الكبيرة العريضة ظِلالاً لجميع الأشجار المثمرة، وتقيها من أشعّة الشمس المحرقة. وبما أنّ جميع الأشجار والنخيل كانت مثمرةً ومنتجةً للتمر، فإنّ عائدات الوالي من الأشجار والنخيل المطلّ على النهر وحدها تبلغ مليون [إيكو][٤].

دعانا الشاهبندرُ نحن وملّاحي سفينتنا للإقامة في منزله المريح في المدينة لحين تفريغ بضاعتنا. ولكن، بعد أن تشاورنا مع وكيلنا بشأن عرضه، شكرناه، وأبلغناه أنّنا نريد ضمان وضع تجارتنا قبل أن نُنزل بضائعنا إلى البر، فقد كنّا لا نريد أن نزُجَّ أنفسنا في مسألة قبل أن نعرف الوضع الحقيقيّ للمدينة وأحوالها الداخليّة وأحوال مخيّمات العرب فيها؛ لئلّا تحدث بعض المفاجآت، ويداهمنا الوقت فلا نتمكّن من الإبحار ثانيةً إن أنزلنا بضاعتنا.

ومع ذلك، ولكي نتأكّد، نزلتُ في مساء اليوم ذاته إلى البرّ مع وكيل شركتنا السيّد (فروت)، وهو رجلٌ ذكيٌّ، ويفهم التجارة جيّداً، وذهبنا للإقامة في دير للآباء الكراملة؛ حتى نستطلع الأوضاع هناك. وسرعان ما علمنا أنّ أحوال العرب ليست على ما يرام؛ إذ جاء بعض المسيحيّين من أصدقاء كراملة الدير، وأبلغوهم بوجود إشاعة قويّة في المدينة تفيد أنّ أتراك القسطنطينيّة عادوا بجيش عرمرم لإنقاذ موقع حامية (القرنة)[٥]، الذي استولى عليه العرب، بعد أن علموا أنّ الأهالي والتجّار يعتزمون مغادرة منازلهم وتجارتهم كما فعلوا قبلُ مرّتين أو ثلاث مرات. وعند المساء عدنا لننام في السفينة لكي لا نسمح للملّاحين بالنزول إلى البر.

في اليوم التالي [السبت، ٣١ آب] نزلنا إلى المدينة أيضاً لزيارة حاكمها العربيّ، قريبُ (يحيى باشا)، كما جرت العادة في بلدان الشرق. فحينما يقوم أحدٌ بزيارة أحد الحكّام أو إحدى الشخصيّات المهمة، عليه أن يقدِّم هديةً له، وبعد أن استقبلنا بطريقة ودّيّة،وأكّد حماية يحيى باشا ورعايته لنا، أخبرنا أنّه أرسل إليه مَن يبلغه بخبر وصولنا إلى البصرة.

كان السيّد (فروت) مهتمّاً جدّاً بمصالح شركتنا، فأعجبه الترحيب والمجاملات التي أمطرنا بها الحاكم العربيّ في هذه الزيارة، الذي لم يقبل هديّتنا إلّا بصعوبة، ولكن، بما أنني خبِرتُ تفكير العرب وأساليبَهم منذ مدة طويلة، فقد أخبرتُ وكيلنا أنّنا سنرى القصدَ من وراء كرم هؤلاء العرب قريباً؛ فهُم لا يقدِّمون أيّ شيء ما لم يكن وراءه هدف، فمن غير المألوف أن يأتي هذا الشاهبندر بنفسه بعد عودتنا إلى سفينتنا ما لم يكن في جعبته شيء، فبخلاف نيّته (أنّه جاءنا يعرض خدماته)، فقد جاء ليرى معدّاتنا وأسلحتنا وذخيرتنا الحربيّة على ظهر سفينتنا، ليتمكّن بطريقة أو بأخرى من الحصول على بعض القطع؛ لإيصالها إلى مركزهم في القُرنة للقيام بآخر محاولة لطرد الأتراك ومنعهم من السيطرة على هذا الموقع، الذي يحمي الممرَّ المائيَّ لنهرَي دجلة والفرات، ليتمكّنوا من إيقاف الحشود التركيّة عند هذا المكان.

عربُ البصرة يطلبون المساعدة من سفينة حربيّة فرنسيّة ضدّ الأتراك

الأحد، الأوّل من أيلول/سبتمبر: في هذا اليوم نزلنا إلى البرّ، وذهبنا إلى الآباء الكرامة كالمعتاد، فجاءنا الشاهبندرُ ونائبُ الوالي والضابطُ الأوّل للجمرك لمناقشة الشروط التجاريّة للشركة التي نزمع تأسيسَها هنا، ولمناقشة أمور أخرى أيضاً، فوجدنا أنّ هؤلاء المسؤولين العرب لطفاء وكرماء للغاية؛ إذ وافقوا على جميع مطالبنا، حتّى أنّهم منحونا امتيازات كبيرةً جدّاً لم يحصل عليها أيُّ أوروبيّ منذ مدّة طويلة، وانتهت اتفاقية المباحثات الخاصّة بشركتنا بحصولنا على كلّ المكاسب التي نتمنّاها من العرب، وقبل أن نفارقهم طلبوا منّا عقد جلسة خاصّة في مكان لا يضمُّ سوى نفر قليل، فانسحب جميع الحاضرين، ولم يبقَ سوى الرئيس الأعلى لدير الآباء الكراملة، الأب المبجّل (سيـ□ـيرين)، ووكيل شركتنا السيد (فروت)، وأنا، وحينما خلا الجوُّ، كشفوا لنا أسرار شؤونهم التجاريّة. وفي البداية رحّبوا بنا بشدّة، وأخبرونا أنّ أميرهم يحيى باشا، الذي كان على رأس القوّات التي تحاصر القُرنة، أرسلهم للترحيب بنا، وتمنّى لنا التقدّم والازدهار في عملنا، وأكّد لنا أنّنا نستطيع الاعتماد على ثقته ونفوذه في جميع شؤوننا، وبعد أن أخبرونا أنّ أميرهم منهمكٌ جدّاً بشؤون البلاد، أكّدوا أنّه يأمل أن نبادله الكرم باستئجار أو بيع مدفعين من مدافع سفينتنا؛ ليسيطر بهما على موقع القرنة، ويصبح السيّد المطلق على جميع البلاد دون خشية من الأعداء؛ إذ سيتمكّن بهذا الموقع الحصين من إغلاق هذا الممرّ تماماً أمام الجيوش التركيّة، التي لا تستطيع المجيء من نهر دجلة إلّا عبر هذا المصب الذي تحرسه قلعةُ القُرنة.

كان الأب الكرمليُّ إسبانيّاً من إقليم أراغون، وهو يتمتّع بتقدير كبير بين هؤلاء العرب، وتمكّن بذكائه الحادّ من إدارة الدير في البصرة بسلام منذ سنوات، وهو يرغب كثيراً في أن نوافق على طلب هؤلاء العرب، ويفضِّل سيطرتهم على سيطرة الأتراك، القساة جدّاً تجاه المسيحيّين، فضلاً عن أنّ معاناة كنائسنا الكاثوليكيّة ستكون أقلّ في ظلّ العرب، لكنّ هذا الأبَ لم يكن مهتمّاً إلّا بمصالحه وبالمحافظة على الدير، ويريد إقناعنا أنّ الموافقة على مطالب العرب بشأن المدفعين والذخيرة الحربيّة لمساعدة أميرهم يحيى باشا عملٌ جيد.

كان الوكيل التجاريّ الفرنسيّ (السيد فروت)، الذي قدّم الهديّة يحمل وجهة نظر مشابهة، وكان يريد إعطاء العرب ما يتمنّون باستثناء هذين المدفعين، ولكن، كانت

لديه أوامر من المدير العام، السيّد (كارون) بعدم القيام بأيّ شيء دون استشارتي وموافقتي، وعندما سألوني عن الموضوع، أجبتهم دون مراوغة: إنّنا لا يمكن أن نوافق على مقترحهم؛ لأنّه قد يلحق ضرراً جسيماً بأمّتنا وبالتجارة التي نريد أن نؤسّس شركتنا على أساسها في هذا الموقع من البصرة، في وقت بدأ فيه عملنا ينتشر في الشرق، وأفهمتهم أنّ المدافع والأسلحة والذخيرة الحربيّة التي وضعها رئيس شركتنا على ظهر السفينة هي للدفاع عن أنفسنا ضدّ قراصنة البحر الذين يريدون مهاجمتنا ليس إلّا، ولا يُسمح لنا بالمتاجرة بهذه الأشياء أو بيعها مطلقاً في الممالك الأجنبيّة التي تُرسلُ سفنُ الشركة إليها، ولا حتّى البضائع الأخرى التي تركتها الشركة بعهدتنا لبيعها أو المتاجرة بها إلّا بموافقته. من جهة أخرى، قلتُ له: إنّنا ذاهبون بصفة أصدقاء للأتراك وللعرب على حدّ سواء، ولا يمكن أن نعطي السلاح لأحدهما دون الآخر فيكونَ ضدّنا، فضلاً عن أنّ شركتنا ستفقد كلّ تجارتها في ما لو عاد الأتراك وأصبحوا أسياد البصرة مجدّداً، حينها سوف يمنعونا من المتاجرة هناك لو علموا أنّنا أعطينا الأسلحة إلى هؤلاء العرب لمقاتلتهم، فمن الأفضل لنا أن نُشعر العرب أنّنا لا نستطيع قبول طلبهم، عندها سينصرفون ببعض الحزن.

بعد ذلك، عندما تناقشتُ مع وكيلنا على انفراد، أفهمته النتائج والأضرار الكبيرة التي قد تحدث لتجارتنا في حال موافقتنا على تزويد هؤلاء العرب بالسلاح والذخيرة ضدّ الأتراك، الذين هُم على وشك دخول البصرة، ومن ثمَّ سنعطي العثمانيّين كلّ الحقّ برفض الامتيازات التجاريّة التي منحوها للدول الأوروبيّة الأخرى، ولزيادة الأمان من مفاجآت العرب، نصحتُه بعدم السماح لرجال سفينتنا بالنزول إلى البرّ مطلقاً، وأن يذهب هو وبعضُ الضبّاط لقضاء بعض الأمور الضروريّة في المدينة، شريطة أن يعودوا للنوم في السفينة؛ حتّى يكونوا مستعدّين للإبحار في حال حدوث أيّة مفاجآت، وعدم السماح لأيّ ضابط أو جنديّ عربيّ بالصعود إلى السفينة إطلاقاً، حتّى ولو بذريعة الواجب أو الزيارة، لئلّا يباغتونا ويحصلوا بالقّوة على ما لم يحصلوا عليه باللين والهدايا، وهكذا حسمنا الموضوع.

وحينما نزلنا إلى البرّ، ذهبنا للإقامة عند الآباء الكراملة، وقد رحّب بنا الشاهبندر العربيُّ، وحاول إقناعنا بقبول السكن الذي أعدّه لتفريغ بضاعتنا، ولكن، بعد أن علمنا أنّ أوضاع العرب سيّئة في البصرة، لم نجازف بإنزال أيّ شيء من سفننا، ولا سيّما حينما شاهدنا الكثير من التجّار الأغنياء الذين جاءوا يبحثون عنّا خِفيةً في أثناء المساء لنستقبلهم في سفينتنا مع بضائعهم وثرواتهم، وهذا ما أكّد لنا زحفَ الجيش التركيّ القادم من النهر، وظهر على مشارف البصرة، فصرفنا النظر عن إنزال بضائعنا، واكتفينا بتحميل سفننا بالكنوز والثروات التي أحضرها الآباء الكراملة خِفيةً في المساء؛ إذ أنّنا سنغادر بسفننا وقواربنا الكبيرة ليلاً مع بعض التجّار الأثرياء، ممّن لا يحملون سوى الأموال والجواهر والأحجار الكريمة والحليّ الخفيفة، دون أن نكدّس السفينة بمن لديه بضائع ضخمة، وقمنا بهذه العمليّة ليلاً؛ حتّى لا نثير ريبة العرب في البصرة، فيضايقوننا لو علموا بمغادرة هؤلاء التجّار.....

الهوامش

١- تسمى محلياً «سوريابور» مدينة هندية تقع غرب ولاية غوجارات في مقاطعة سورات وهي العاصمة الاقتصادية للولاية وهي ثامن أكبر مدينة بالهند.

٢- فرنسوا كارون (بالفرنسية: François Caron) (١٦٠٠ –١٦٧٣م) هو مستكشف، وسياسي فرنسي.

٣- كانت تلك البساتين تتيبس سنوياً.

٤- لم يذكر الرحّالة بعد كلمة (مليون) اسم العملة، والأغلب أنه يقصد (إيكو). والإيكو الواحد يعادل قرشاً واحداً أو ثلاث ليرات.

٥- القُرنة: موقع ستراتيجيٌّ يقع على بعد (٧٠) كم شماليّ البصرة عند نقطة التقاء نهرَي دجلة والفرات.



أمثال شعبية

إخْذ الزِّين لُو جان غالي

الزّين: الجيّد، الجميل.

لو جان: ولو كان.

المعنى: عند شرائك السّلع، إختر السلعة الجيّدة ولو كانت غالية؛ فإنّ الثمن الذي دفعته لا يضيع، وعلى العكس ما إذا اشتريت السِّلعة الرديئة ولو كانت رخيصة؛ إذ لا نفع فيها، ويذهب ثمنها سدى.

ويضرب لاختيار السلع الجيّدة ولو كانت غالية.

أَخَذْنه بِشْراع وْمِيذافْ

ميذاف: مِجذاف: آلةٌ معروفةٌ يستعين بها الملّاحُ على تسيير السَّفينة.

المعنى: لقد أسرع بنا إسراعاً شديداً، ولم يَدَعْ لنا مجالاً للتفكير، حتّى كأنّنا ركبنا في سفينة وقد سيَّرَها بشراع والريح عاصف، وأضاف إلى ذلك مِجذافاً أيضاً.

ويُضرب هذا المثلُ لمن يتحدّثُ بسرعة وحماس، فيحمل السامعين على ما يريد من غير أن يفهموا ما قال، يصدعُ رؤوسهم بسرعة لفظه وارتباك حديثه ثمّ ينصرف ويتركهم ذاهلين.

إذا جيتْ مِنْ سَفَر،
إهدي لَهْلَكْ ولو حَجَر

المعنى: إذا عُدت من سفرك، فاحمل لأهلك ولو هدايا بسيطة وبالغة في البساطة: (ولو حجر)، أي: لا تَعُد من غير هدية.

ويضرب للاهتمام بالهدايا عند العودة من السفر؛ لما لها من أثر في توثيق المحبّة وزيادة الأُلفة.

قال رسول الله ﷺ: (تهادوا تحابّوا، تهادوا؛ فإنّها تذهب بالضغائن)[1].

إذا فاتّك الزّادْ كول هِنِيْ

الزاد: الطعام. وفي اللغة: ما يتّخذ من الطعام للسفر، وجمعه أَزْوِدةٌ، وأَزْواد.

كول: قُلْ.

هني: هنيئاً.

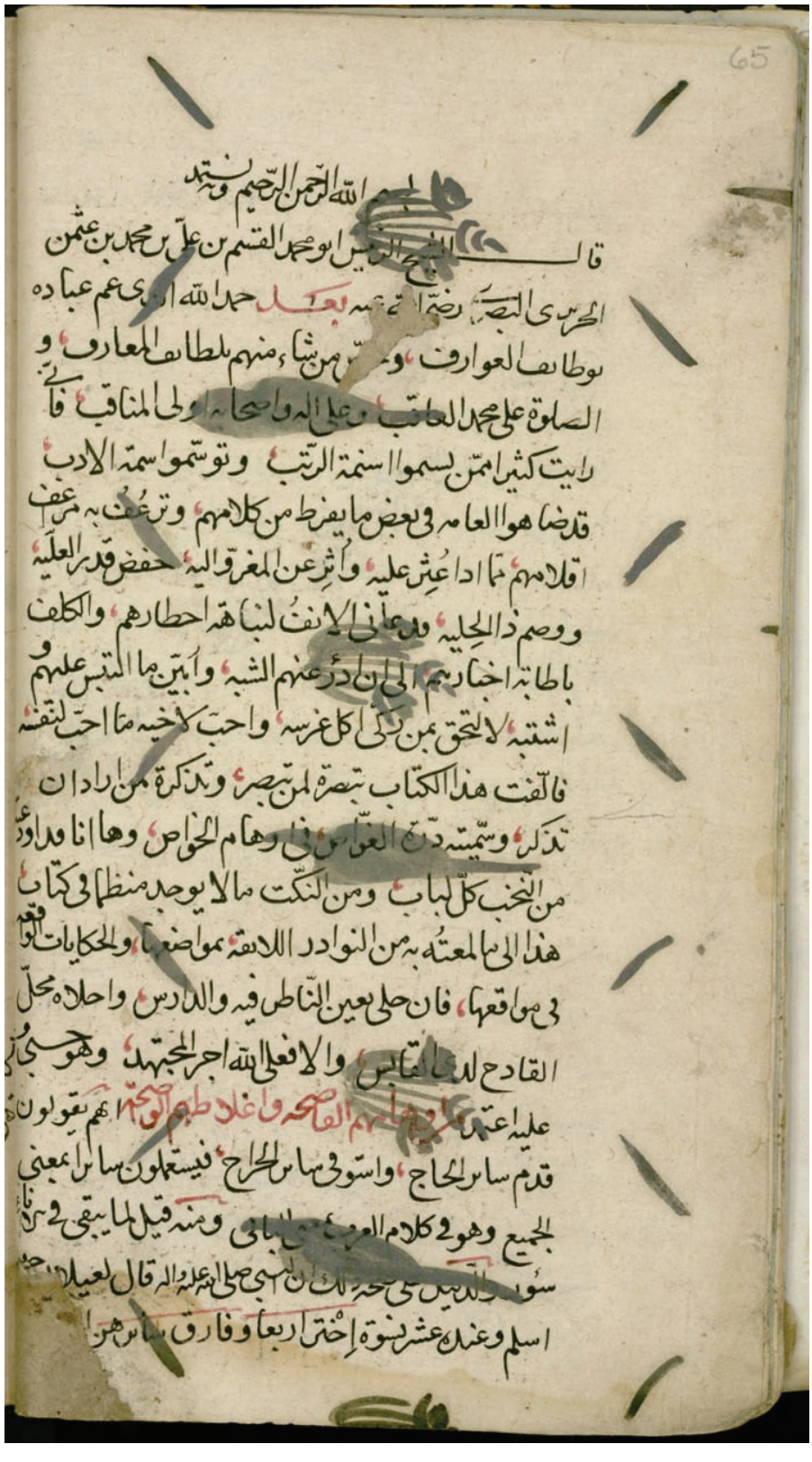
المعنى: إذا فاتك الطعام الى غيرك وأنت جائع، فلا تتذمّر أو تعتب، بل قُلْ: هنيئاً مريئاً؛ لأنّه قد فات، ولا فائدة من تكدير خواطر آكليه.

ويضرب لمن كان يأمل شيئاً، فسبقه إليه غيرُه، أو فاته إدراكه، فعليه أن يبديَ الرضى والتجمّل، ويخفي الأسف أو التهالك.

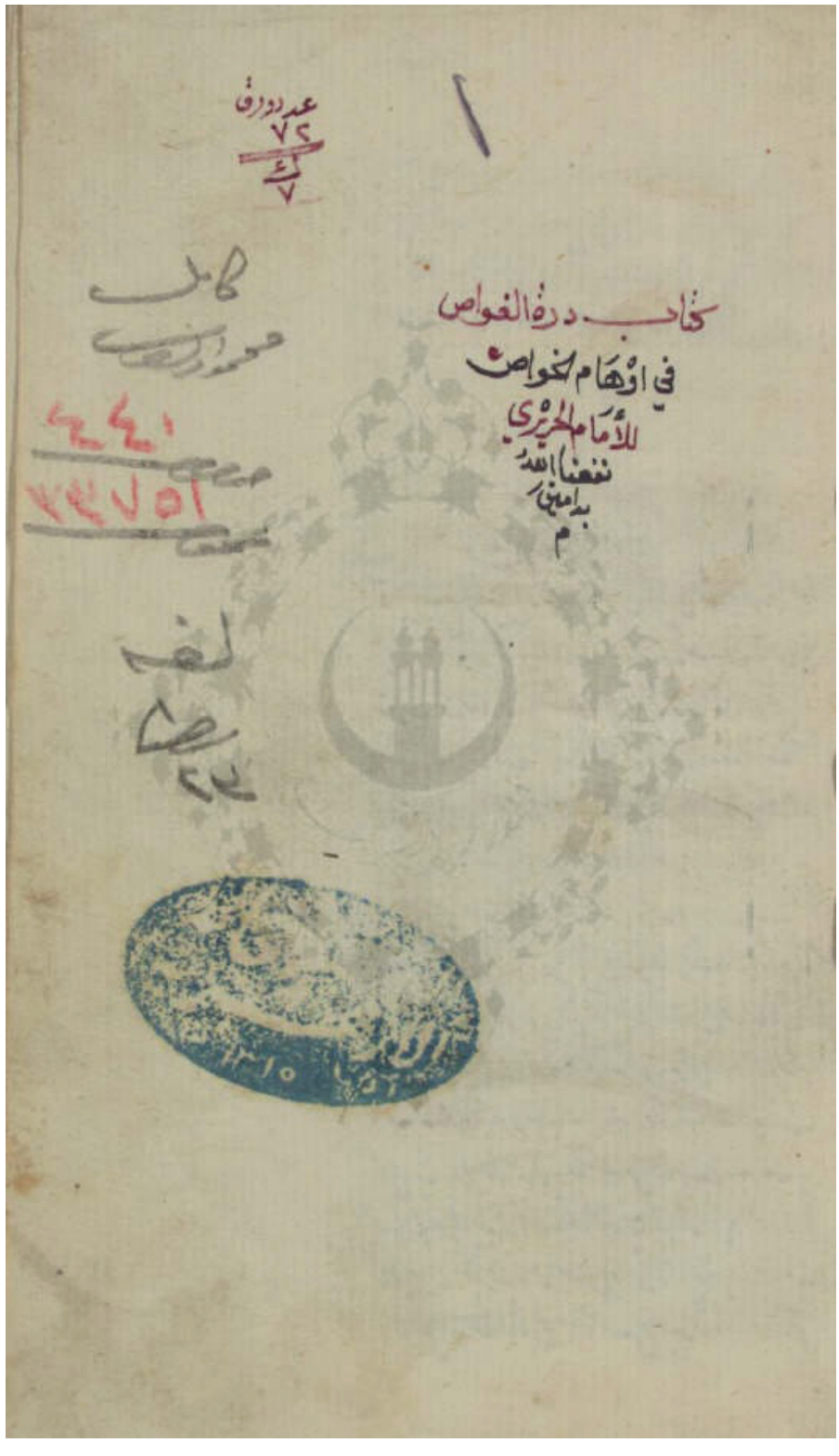
قال تعالى: (لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ)[2].

١- الكافي:٥/١٤٤.

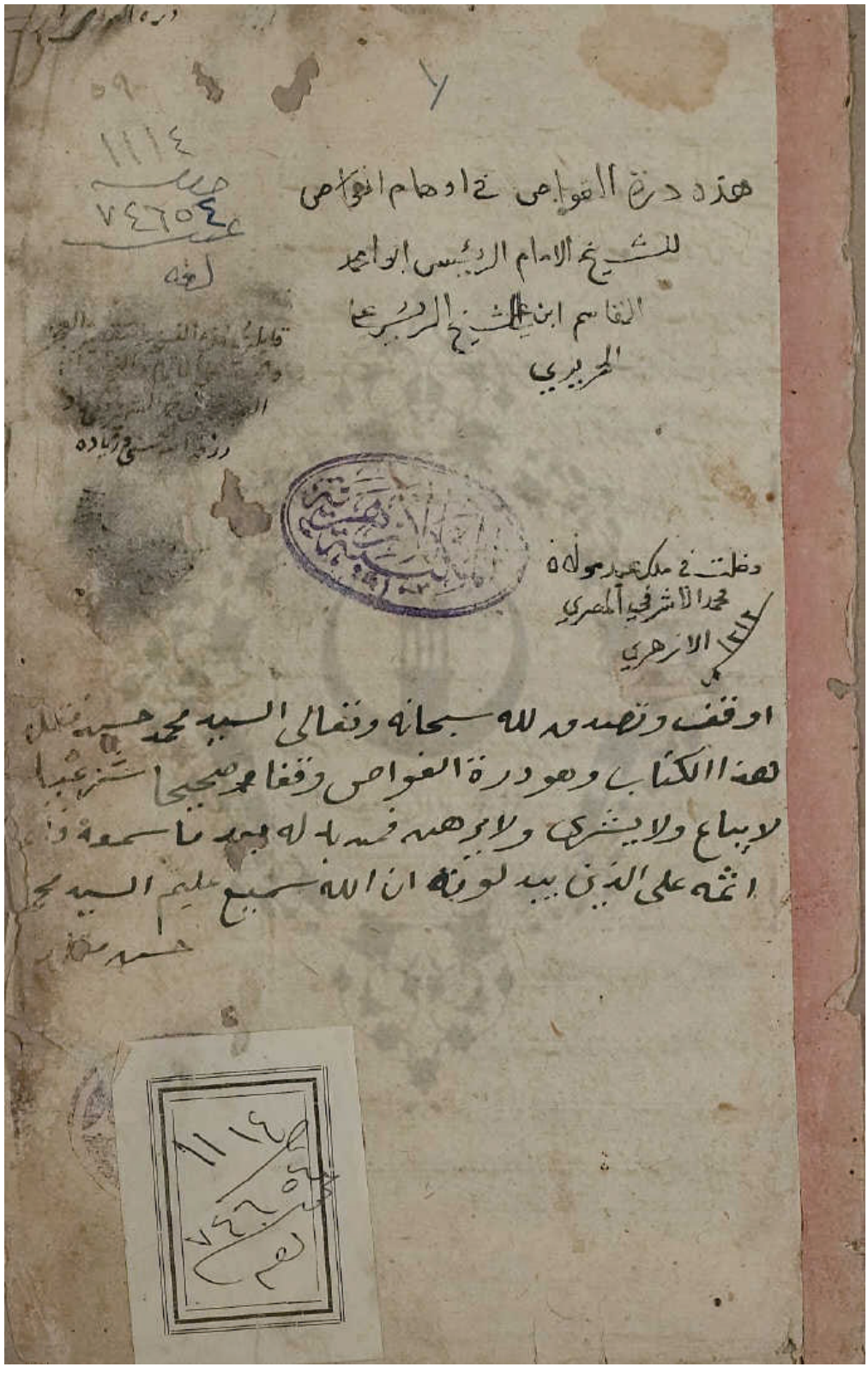
٢- سورة الحديد: الاية٢٣.



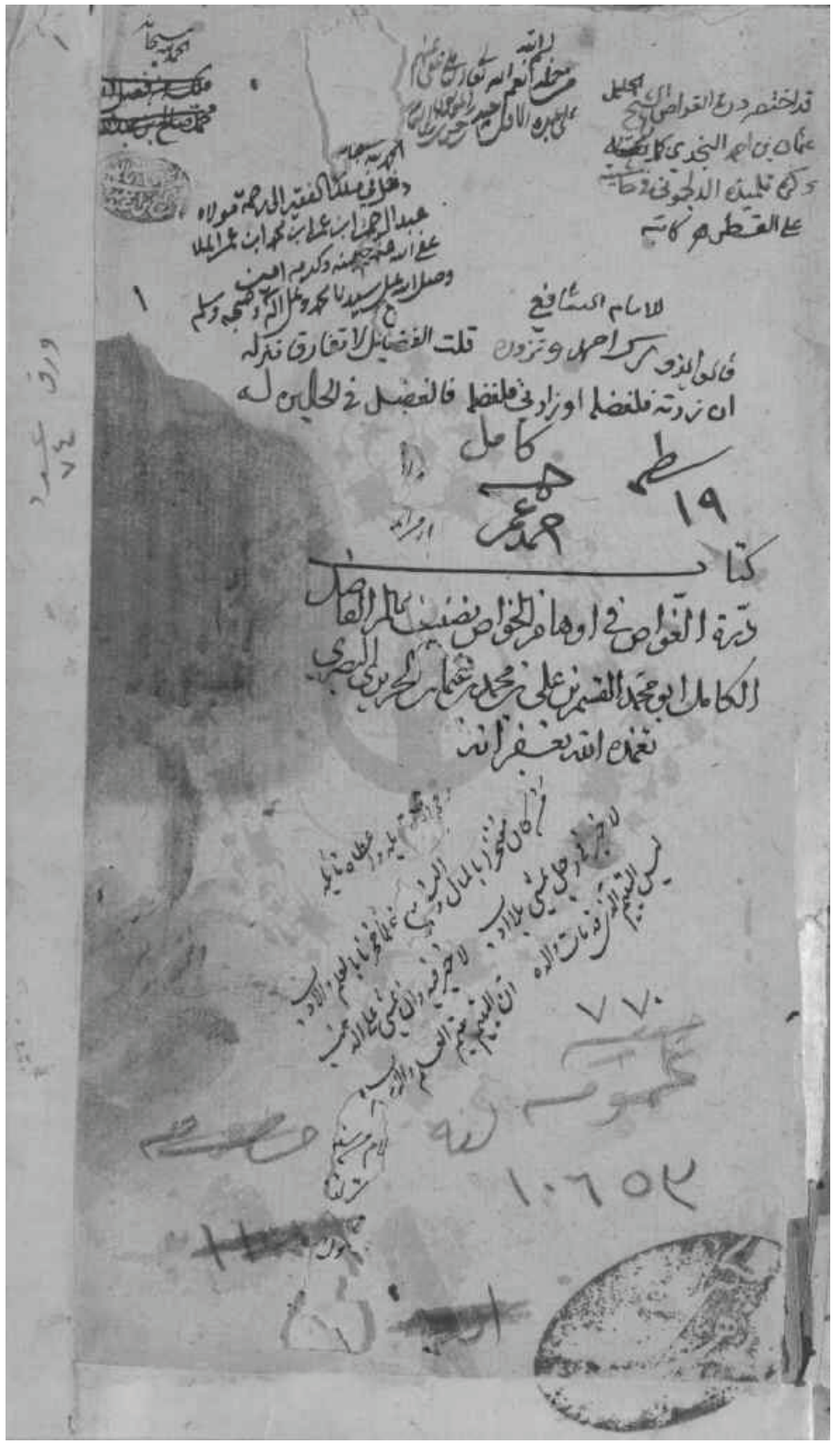
الصفحة الأولى من كتاب درة الغواص في أوهام الخواص للحريري



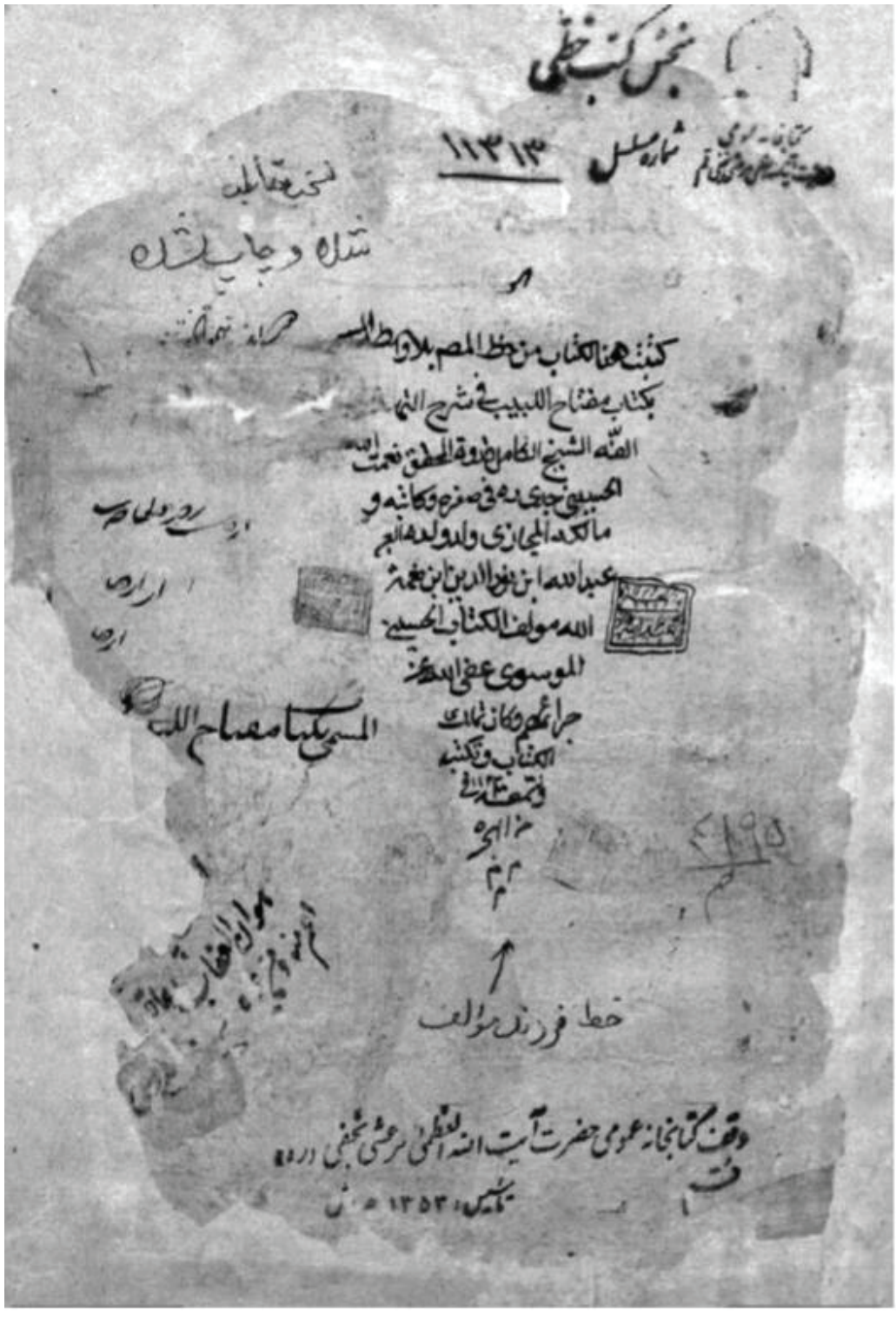
صفحة من صفحات كتاب درة الغواص عليها ختم المكتبة الأزهرية



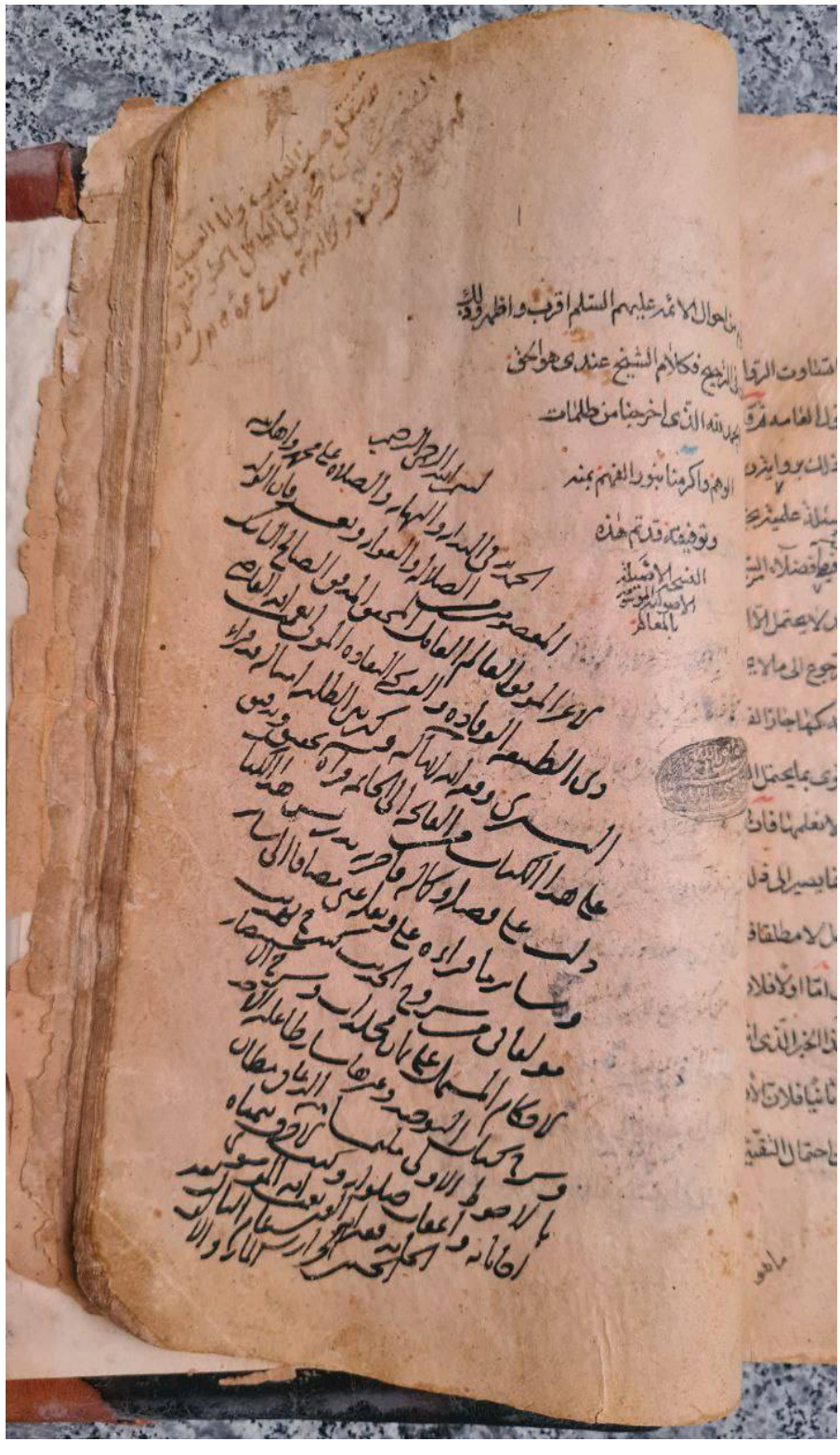
صفحة من كتاب درة الغواص في أوهام الخواص عليها تملكات ووقفية



صفحة اخرى من صفحات كتاب درة الغواص عليها تعليقات مهمة



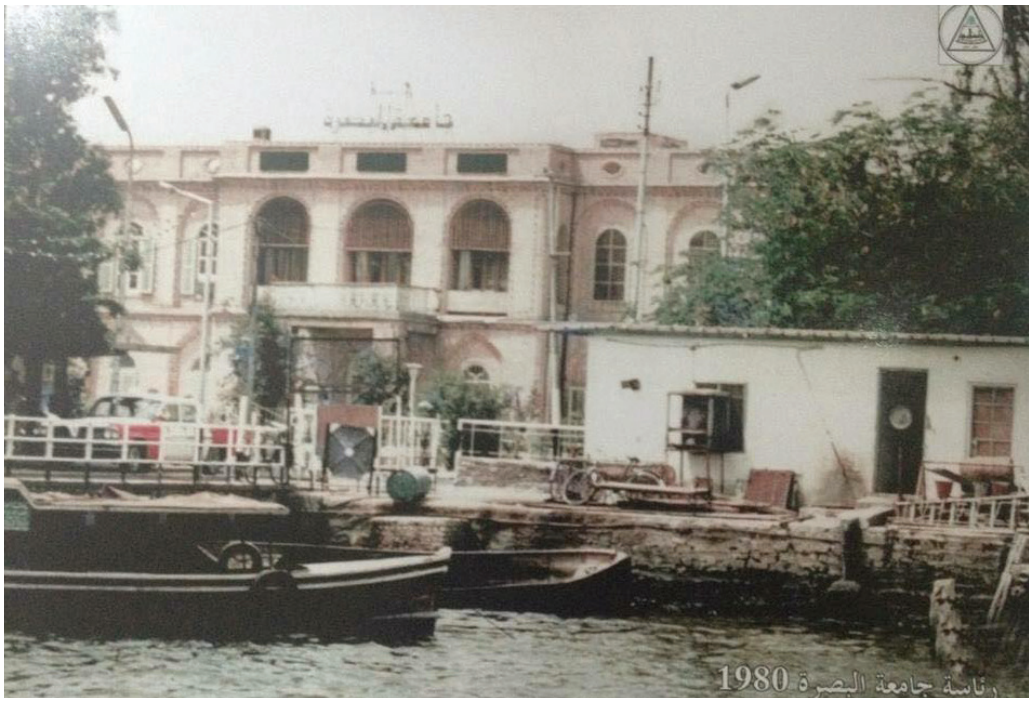
خط السيد عبد الله الجزائري على كتاب (مفتاح اللبيب) لجدّه السيد نعمة الله الجزائري



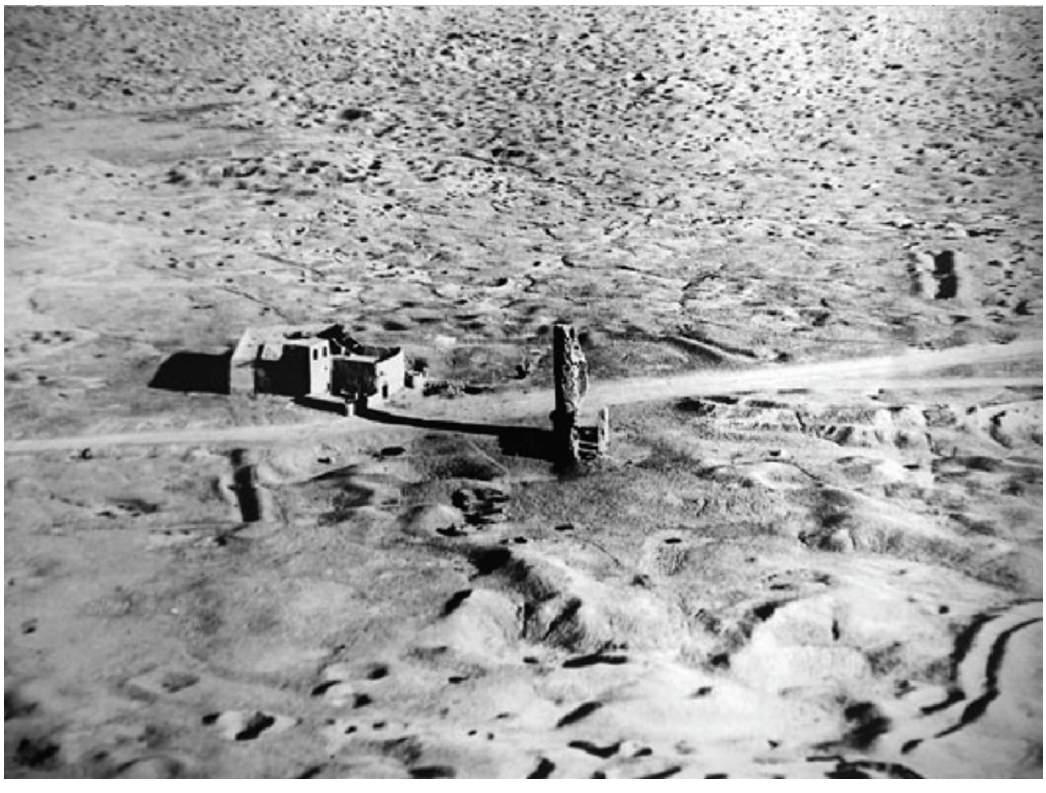
إجازة السيد نعمة الله الجزائري للقاضي نعمة الله التستري.
مكتوبة بخط السيد نعمة الله الجزائري كتبها بلا نقط ، وردت في آخر كتاب معالم الأصول
المصدر قناة الشيخ محمد حسن الأنصاري



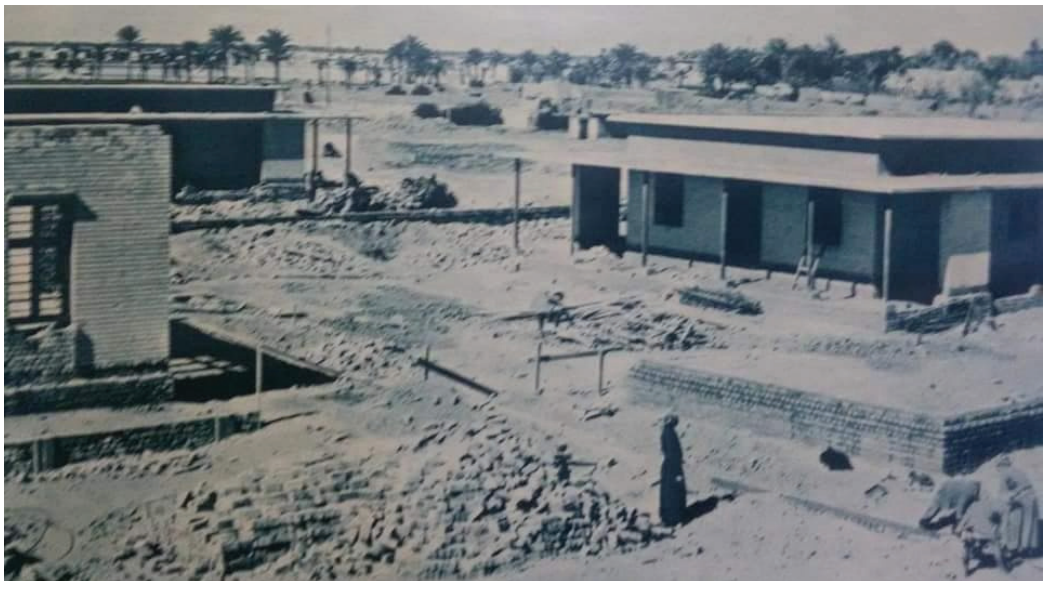
أحد أنهار البصرة بداية العشرينيات



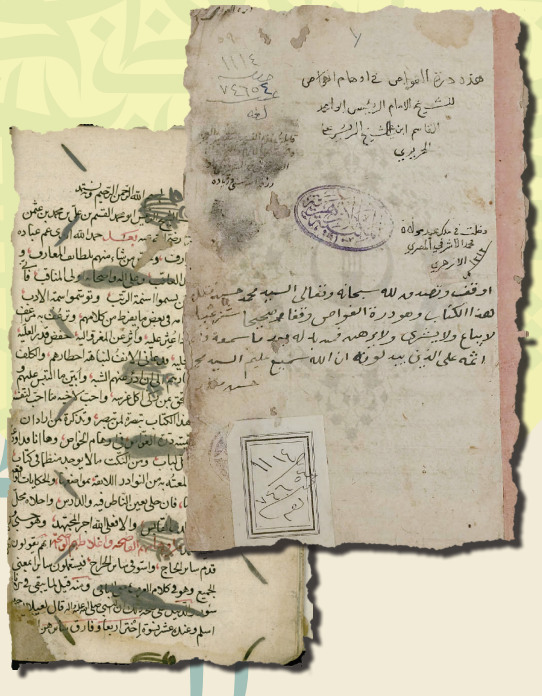
رئاسة جامعة البصرة ١٩٨٠



صورة لمسجد الخطوة ، التقطتها عدسة الطيران البريطاني ٣١/تموز/١٩٣٥



مستشفى الموانئ في بداية الإنشاء



كتابُ دُرّةِ الغَوّاص في أَوْهام الخواصّ(٥)

الشيخ الدكتور: محمود العيداني

من حميد الأخلاق غيرةُ المرء على لغته؛ لأنّها آلةُ التواصل الاجتماعيّ، ووسيلةُ الإفهام والتفاهم، وأداةُ التعبير عن الاحتياجات الخاصّة والعامّة، وبها يُعبّر عن خَنايا الصدور، وخَلَجات النفوس، فإذا ما ضعفت قوّتها، انفرطت الوحدةُ الاجتماعيّة، وضاعت الدقّة في الاستعمال، واحتاجَ إدراكُ المعاني إلى مجهود يزيد عن الفائدة المرجوّة، لهذا، تحرّك حماةُ اللغة من قديمٍ لوضع القواعد والأسس لاستقامة اللسان، والتنبيه على مواطن الخَلل، وتقويم ما اعوجّ، والسير على هدى السابقين، مع فحصِ الأحوالِ والظروفِ المؤدّية لهذا الخلل، دون إغفالٍ لعوامل التطور والتجديد في الاستعمال.

ونظراً لقيمة اللغة العربيّة عند أهلها، والتصدّي لأيّ تحريف أو لحنٍ في استخدامها، وحرصِ علمائها على تقويم استعمالها على مرّ العصور، فقد قام عددٌ من العلماء بتأليف المعاجم اللغويّة؛ توثيقا لتراث الآباء، ومرجعاً نهتدي به عند الاختلاف، وتنميةً لما غاب عن الأذهان، وحمايةً للّغة من الضياع، وقام آخرون بتتبّع استعمال مفردات اللغة، وتصحيح الأخطاء، وبيان الفصيح والأفصح؛ استنادا على المخزون اللغويّ من كلام العرب الفصحاء.

ومن بين هؤلاء العلماء: ابنُ قتيبة في أدب الكاتب، والحريريُّ في درّة الغوّاص، فقد قاما بتقويم غير الصحيح الوارد في استخدام العوام والخواصّ، وبيان جهات القصور، سواء أكان في البنية، أم التركيب اللغويّ، أم الدلالة؛ وفق مقاييس وضوابط وأصول[١].

وقد تقدم في المقال السابق تسليطُ الضوء على كتاب للحريريّ، القاسم بن علي بن محمّد بن عثمان، أبو محمّد، الحريريّ، البصريّ، صاحبِ المقاماتِ المعروفة المشهورة[٢]، وهو كتاب (درّةُ الغوّاص في أوهام الخَواصّ)؛ لبيان بعض ما يخطئ فيه المتكلّمون بالعربيّة ويلحَنون به.

وممّا يجعلُ الكتابَ جديراً بالقراءة ليس ما جاء فيه من معلومات وتصحيحات للّغة مهمّة وجيّدة وممّا لابدّ من تعلّمه فقط، وإنّما ما خالَطَ هذه المعلومات القيّمة من إضافات أدبيّة وقصصيّة وفكريّة وثقافيّة مختلفة، يجدر بكلّ من يهتمّ باللغة والعلمِ والمعرفةِ والثقافةِ الوقوفُ عليها، وقد وقعَ القَرارُ على اختيار بعض ما في هذا الكتاب من موارد اهتمَّ بذكرها الحريريُّ، ونَقلها على شَكل مقالاتٍ متسلسلة،

وهذا المقالُ يقع ضمنَ هذه السّلسلة من المقالات.

قال (رحمه الله):

«وَيَقُولُونَ: فلَانٌ يستأهل الْإِكْرَامَ، وَهُوَ مستأهلٌ للأنعام، وَلم تُسمع هَاتَانِ اللفظتانِ فِي كَلَام الْعَرَب، وَلَا صوَّبَهما أحدٌ من أَعْلَام الْأَدَب، وَوجه الْكَلَام أَن يُقَال: فلَانٌ يسْتَحقُّ التكرمة، وَهُوَ أهل للمكرُمة، فَأَمّا قَول الشَّاعِر:

لَا بل كُلي يَا ميُّ واستأهلي إِن الَّذِي أنفقتِ من مالِيَه

فَإِنَّهُ عَنى بِلَفْظَة (استأهلي)، أَي: اتّخذي الإهالَةَ، وَهِي مَا يؤتدمُ بِهِ من السّمن والودك.

وَفِي أَمْثَال الْعَرَب: استأهلي إهالَتي وأحسني إنالَتي، أَي: خذي صفوَ طُعمتي، وأحسني الْقيامَ بخدمتي.

وَيَقُولُونَ إِذا أَصْبحُوا: سَهرْنا البارحةَ، وسَرَيْنا البارحةَ، وَالِاخْتِيَار فِي كَلَام الْعَرَب على مَا حَكَاهُ ثَعْلَب أَن يُقَال: مُذْ لَدُن الصُّبْح إِلَى أَن تَزُول الشَّمْس: سَرَيْنا اللَّيْلَةَ، وَفِيمَا بعد الزَّوَال إِلَى آخر النَّهَار: سَهرْنا البارحَة، وَيتَفَرَّعُ على هَذَا أَنَّهم يَقُولُونَ مُذْ انتصاف اللَّيْل إِلَى وَقت الزَّوَال: صَبَحتَ بِخَير، وَكَيف أَصبَحت؟ وَيَقُولُونَ إِذا زَالَت الشَّمْسُ إِلَى أَن ينتصف اللَّيْل: مَسَيتَ بِخَير، وَكَيف أمسيت؟

وَجَاء فِي الْأَخْبَار المأثورة أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسلّم كَانَ إِذا انْفَتَلَ من صَلَاة الصُّبْح، قَالَ لأَصْحَابه: هَل فِيكُم من رأى رُؤْيا فِي ليلته؟ وَقد ضُرب المثل فِي المتشابهين، فَقيل: مَا أشبهَ اللَّيْلَة بالبارحة، كَمَا قَالَ طرفَةُ:

كلُّ خَلِيلٍ كنتُ خاللتُه لَا تركَ اللهُ لَهُ واضحَة
كُلُّهمُ أروغُ مِنْ ثَعْلَبٍ مَا أشبه اللَّيْلَة بالبارحَة

وَمعنى قَوْله: لَا تركَ الله لَهُ وَاضِحَةً، أَي: لَا أبقى الله لَهُ شَيْئا. وَقيل: بل أَرَادَ بِهِ المَالَ الظَّاهِر.

قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ الْأَجَلُّ الأوحدُ أَبُو مُحَمَّد رَحمَه الله: وَقد خَالَفَت الْعَرَبُ بَين أَلْفَاظ متّفقة الْمعَانِي؛ لاخْتِلَاف الْأَزْمِنَة، وَقصرت أَسمَاء الْأَشْيَاء على وَقتٍ دون وَقت، كَمَا سَمَّت شربَ الْغَدَاة صَبُوحًا، وَشربَ العشيّةِ غَبوقاً، وَشُربَ نصف النَّهَار قِيلاً، وَشُربَ أوّلِ اللَّيْل فَحْمَة، وَشربَ السّحَر جاشريّة.

وكما قَالُوا: أَنّ السراب لَا يكون إِلَّا نصفَ النَّهَار، والفيءَ لَا يكون إِلَّا بعدَ الزَّوَال.

والمَقيل: الاسْتِرَاحَةُ وَقتَ الهاجرة، والسّمَرَ: حَدِيثُ اللَّيْل خَاصَّة، والطّروق: الْإِتْيَان لَيْلًا فِي قَول أَكْثَرهم، والإدْلاجُ بِإِسْكَانِ الدَّال سيرُ أَوَّلِ اللَّيْل، والإدّلاجُ -بِالتَّشْدِيدِ- سيرُ آخِره، والتأويبُ: سيرُ النَّهَار وَحدَه، والسّرى: سيرُ اللَّيْل خَاصَّة، والمشرقة والشرقة لَا تكون إِلَّا فِي الشتَاء، فَإِن عَارضَ معَارضٌ بقوله سُبْحَانَهُ: {سُبْحَانَ الَّذِي أسرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا}، فَالْجَوَابُ عَنهُ أَنَّ المُرَاد بِذكر اللَّيْل: الْإِخْبَارُ بِأَنَّ الْإِسْرَاءَ وَقعَ بعدَ توسّطه، كَمَا يُقَال: جَاءَ فلَانٌ البارحةَ بلَيْل، إِذا جَاءَ بعد أَن مضى قطعٌ مِنْهُ.

وَمِمَّا يَنْتَظِم فِي هَذَا السَمط قَوْلُهم: ظلَّ يفعلُ كَذَا وَكَذَا، إِذا فعله نَهَارا، وَبَاتَ يفعل كَذَا وَكَذَا، إِذا فعله لَيْلًا، وغوَّرَ الْمُسَافِرُ، إِذا نزلَ وَقتَ القائلة، وعرَّسَ الساري، إِذا نزلَ فِي آخر اللَّيْل للاستراحة، ونَفَشَت السَّائِمَةُ فِي الزَّرْع، إِذا رعَتْه بِاللَّيْلِ، وتهجَّدَ الْمُصَلِّي، إِذا تنفَّلَ فِي ظِلّ اللَّيْل.

وكتسميتهم الشَّمْس فِي وَقت ارتفاعها: الغَزالة، وَعند غُرُوبهَا: الجَوْنَة، حَتَّى امْتَنعُوا أَن يَقُولُوا: طلعت الجَونةُ كَمَا لم يسمع عَنْهُم غَرَبَت الغَزالَةُ.

وأنشدت ليوسف الْجَوْهَرِي الْبَغْدَادِيّ:

وإذا الغَزالةُ فِي السَّمَاء ترفَّعَت
وبدا النَّهَارُ لوقته يترجَّلُ
أبْدَت لقَرنِ الشَّمْس وَجْها مثلَه
تَلْقى السَّمَاءَ بِمثلِ مَا تستَقْبلُ[3].

الهوامش

١- من مقالة للأستاذة أنسام محمد الحسيني، بعنوان (الإنتصار للخواص من الحريري الدلالة أنموذجا)، منشور في مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد العدد (٨) ٢٠١٦، ص١٣.

٢- أنظر ترجمته المفصلة في: الأنساب للسمعاني: ٤/ ٩٥ و ١٢١، المنتظم لابن الجوزي: ٩/ ٢٤١، معجم الأدباء لياقوت الحموي: ١٦/ ٢٦١، وفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/ ٦٣، وتذكرة الحفاظ: ٤/ ص١٢٥٧، والعبر: ٤/ ٣٨، ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/ ٦٣، وتذكرة الحفاظ: ٤/ ص ١٢٥٧، وطبقات الشافعية للسبكي: ٧/ ٢٦٦، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى: ٥/ ٢٢٥، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٤/ ٥٠، وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤، ٢٢٨.

٣- المصدر: درّة الغوّاص في أوهام الخواصّ، المحقق: عرفات مطرجي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨/١٩٩٨هـ، ص١٧ـ ١٩.



دورُ سكّان الأهوار في بناء سفينةٍ من البرديّ للرحّالة هايردال

د. مشتاق عيدان اعبيد

ثُور هايردال (١٩١٤-٢٠٠٢م)، عالم نرويجيٌّ، ورحّالةٌ مغامرٌ تخصَّص في علم الأعراق، وصاحبُ فكرة اتّصال الحَضارات، تخرّجَ من جامعة أوسلو بتخصّصٍ في علم الحيوان والجغرافيا، وكانت تستهويه فكرةُ دراسةِ استخدام البحر طريقاً للمواصلات والاتّصال بين شعوب العالم في الحضارات القديمة، وفي عام ١٩٧٢م زار العراقَ، ولاحظَ سكّانَ الأهوار وهم يستخدمون نباتَ القَصب والبرديّ في صنع قواربَ لهم، وربطَ ذاك بالنّقش الذي رآه في المتحف البريطانيّ لقارب يعود إلى الحضارة السومريّة، وعرَف من دراساته أنَّ السومريّين كانوا على اتّصال بحريٍّ مع أراضٍ أخرى، تتمّ بواسطة قواربَ من تلك التي رآها في المتحف البريطانيّ. غيرَ أنَّ سجلّات الأقدمين لم تخلّف وراءَها ما يمكن أنْ يُعرف منه طرق الملاحة البحريّة التي كانوا يتبعونها، فرسمَ هايردال طريقاً بحرياً افتراضياً؛ مستعيناً ببعض ما عرفه من كشوفاتٍ حديثة لمواقعَ بين العراق وشبه القارّة الهنديّة وسواحل أفريقية، ولكي يضع أفكارَه موضعَ التنفيذ والتجربة، تولّدت لديه فكرةُ بناء قاربٍ للقيام برحلة على هذا الطريق.

عاد هايردال إلى العراق في عام ١٩٧٧م، عازماً على بناء سفينةٍ من القصب والبرديّ الموجودة في مناطق الأهوار؛

لمعرفة المدى الذي استطاع السومريّونَ الوصولَ إليه في استخدام مثل هذا القارب للاتّصال بالحضارات القديمة، وقد استدعى أربعةً من هنود الآيمارا (Aymara) البوليفيّين من بُحيرة (تيتي كاكا) في بوليفيا، حيث يكثر نبات البرديّ وما زال الأهالي يستخدمونه في صنع قواربهم، وكذا انظمّ إليهم عدد من العراقيّين من سكّان الأهوار لصناعة هذه السفينة، وكان يرأسهم الحاج كاطع البزّونيّ والحاج ناصر البزونيّ من أبناء قرية أمّ الشويج التابعة لقضاء المْدينة، التي تمّ جلبُ القصب منها لبناء السفينة، وقد استفاد كثيراً من خبرتهم؛ لأنَّهم وُلدوا وعاشوا حياتَهم في تلك المنطقة، ونصحوه بجمع نبات البرديّ في شهر آب عام ١٩٧٧م، وقالوا له: «إنَّه لو جمعها في شهر آخر، فإنّها سوف تمتصّ الماء الذي سيثقل حركةَ المركب».

وتكاتف الجميعُ لصناعة السفينة (دجلة) حتّى تمّ ذلك في خمسة أسابيع، وقام البنّاؤون العراقيّون بتضحية ستّة خراف، وغَمَسوا أيديهم في دم الأضحية، ثمّ طبعوها في أسفل مقدّمة السفينة، وعندما رفضَ هايردال بأن يقوم بذبح أضحية عند إنزال القارب إلى المياه، غضب العمّال العراقيّون، وعدّوا ذلك فألاً سيّئاً.

تمّ بناء السفينة بالقرب من دار الاستراحة عند شجرة آدم، على مقربةٍ من ملتقى دجلة والفرات، وبلغ طولُها ثمانيةَ عشر متراً، وعرضُها ستّة أمتار، وصُنع لها هيكلٌ من الخشب الصندل؛ ليكون أشبه ببيت داخل السفينة، تمّ تحشيتُه بباقات من البرديّ، ووُضع له شراعٌ مساحته ستّةٌ وتسعين قدماً مربّعاً، حمَل صورةً لزقّورة أور والشّمس.

وأراد هايردال لرحلته أنْ تأخذ طابعاً دوليّاً؛ فطلب من كورت فالدهايم الأمينِ العامّ للأمم المتّحدة حينها أنْ يسمح له برفع علم الأمم المتّحدة على السفينة، فوافق الأمينُ على ذلك، وبلغَ عددُ بحّارتها أحدَ عشرَ شخصاً من جنسيّات مختلفة، وزُوّدت بمؤونة تكفي خمسة أشهر هي المدّة التي احتسبها هايردال لرحلته.

بدأت الرحلةُ في الحادي عشرَ من تشرين الثاني ١٩٧٧م من نهر دجلةَ، وكان الناسُ يشاهدون بشَغَف مراحلَ بناء السفينة عن كثب، ويزورون موقعَ بناء السفينة باستمرار، وقدم من مركز البصرة بعض المجموعاتِ لمشاهدة ما يحصل، وبينهم صحفيّون وكتّابٌ، وحينما انطلقت السفينة من القُرنة، استُقبلت من جماهير البصرة في شطّ العرب باحتفاليّة كبيرة، والكلُّ مبتهجون يطلقون منبّهات السيّارات.

وفي الثالثِ والعشرين من تشرين الثاني وصلت السفينة إلى الخليج العربيّ، وكانت أوَّل محطة وصلت إليها هي البحرين، وعدَّها هايردال نقطة مهمّةً في رحلتهم؛ وذلك لارتباطها بالتاريخ السومريّ؛ إذ كانت البحرينُ هي (ديلمون) التي أشارت إليها النقوشُ والأساطيرُ السومريّة القديمة.

بعد ذلك اتّجه هايردال ورفاقُه إلى مضيق هرمز بين إيران وعُمان، وتوقّفوا في مسقط، وفي السابع والعشرين من كانون الثاني ١٩٧٨ وصلوا إلى ساحل باكستان، وبعد ذلك توجّهت رحلتُه إلى أفريقيا، وعندما اقتربوا من القرن الأفريقيّ، تلقوا نداءات عبر الراديو بتجنّب الرسوّ في جزيرة سقطرة أو الذهاب إلى الصومال؛ لأنَّها في حالة حرب، وكذا رفض اليمنُ الجنوبيُّ وقتئذ دخولَ السفينة إلى مياهه، وكانت الحربُ مشتعلة في أرتيريا أيضاً، ولأنَّ سلطاتِها لم تسمح لهم باستكمال الرحلة التي كان مخططاً لها، رست السفينةُ في جيبوتي، ومن هناك قرَّر هايردال إشعال النار في السفينة في الثالث من نيسان ١٩٧٨؛ احتجاجاً على الحروب الدائرة في كلّ مكان في القرن الأفريقيّ، وكتبَ رسالةً إلى الأمين العامّ للأمم المتّحدة يبلغه فيها هذا القرار.

لقد تحقّق الهدفُ من هذه الرحلة، وهو الاقتناع بقدرة الإنسان القديم على استخدام هذه القوارب في عبور البحار والمحيطات منذ آلاف السنين، وإنَّه كان قادراً على تبادل أسس الحضارات القائمة منذ خمسة آلاف سنة، مع التركيز هذه المرّة على الإنسان العراقيّ القديم.

أبانُ بنُ عثمان، أبو عبدالله البجليّ المعروف بالأحمَر

الشيخ علي الغزّي

أبانُ بنُ عُثمان بن يحيى بن زكريّا اللّؤلؤيّ، يُعرف بـ(الأحمر)، أبو عبد الله، البجليُّ، مولاهم، أصلُه كوفيّ، كان يسكنها تارةً والبصرةَ تارة، وقدْ أخذ عنه أهلها: أبو عبيدة، معمرُ بن المثنّى، وأبو عبد الله، محمّد بن سلّام، وأكثروا الحكاية عنه في أخبار الشّعراء والنّسب والأيّام، روى عن أبي عبد الله، وأبي الحسن موسى عليهما السلام. له كتابٌ حسنٌ كبيرٌ يجمع المبتدأ والمغازي والوفاة والرّدّة[1].

عدّه ابنُ حِبّان في الثّقات، قائلاً: «يُخطىء ويهمّ»[2]، وذكره الذّهبيُّ في الضّعفاء، قائلاً: «تُكلِّم فيه، ولم يُترك»[3]. ولم يُنصّ عليه بتوثيقٍ في الأصول الرّجاليّة لعلمائنا.

نعم، يُمكن تحصيل وثاقته استناداً إلى قرائن أربع، وهي:

الأولى: روى عن أبان بن عثمان ابنُ أبي عمير[4]، وصفوانُ[5]، والبِزنطيُّ[6]، الذين نصّ الشّيخ في العُدّة على أنّهم لا يروون ولا يرسلون إلّا عن ثقة موثوق به، قائلاً: «إذا كان أحد الرّاويَين مُسنداً والآخر مُرسلاً، نُظر في حال المُرسل، فإنْ كان ممّن يُعلم أنّه لا يُرسل إلّا عن ثقةٍ موثوقٍ به، فلا ترجّح لخبر غيره على خبره، ولأجل ذلك سوّت الطائفة بين ما يرويه محمّد بن أبي عمير، وصفوان بن يحيى، وأحمد بن محمّد بن أبي نصر، وغيرهم من الثّقات، الذين عُرفوا بأنّهم لا يروون ولا يرسلون إلّا عمّن يُوثق به، وبين ما أسنده غيرهم»[7]، بل صرّح ابنُ أبي عمير بكون أبان من مشايخه فيما رواه الصّدوق، قائلاً: «حدّثنا جعفرُ بن محمّد بن مسرور رحمه الله، قال: حدّثنا الحسينُ بن محمّد بن عامر، عن عمّه عبد الله بن عامر، عن محمّد بن أبي عمير، قال: حدّثنا جماعة من مشايخنا، منهم: أبان بن عثمان»[8].

الثّانية: أنّه ممّن نقل الكشّيّ في حقّه إجماعَ الطائفة على تصحيح ما يصحُّ عنه وتصديقَهم لما يقول، وهو دالٌّ على وثاقته، قال الكشّيّ: «أجمعتْ العصابةُ على تصحيح ما يصحُّ من هؤلاء، وتصديقهم لما يقولون، وأقرُّوا لهم بالفقه، من دون أولئك السّتّة الذين عددناهم وسمَّيناهم، ستّة نفر: جميلُ بن درّاج، وعبدُ الله بن مسكان، وعبدُ الله بن بكير، وحمّاد بن عيسى، وحمّاد بن عثمان، وأبان بن عثمان»[9].

الثّالثة: روى عنه جملةٌ من الثّقات، كالثّلاثة المتقدِّمين، بل وأكثَرَ بعضُهم عنه، كجعفر بن بشير[10]، والحسن بن عليّ الوشّاء[11]، والعبّاس بن عامر[12]، وعليّ بن الحكم[13]، وفضالة بن أيّوب[14]، والنّضر بن شعيب[15]، وغيرهم.

الرّابعة: أنّه كثير الرّواية؛ فله في الكافي وحده ما يزيد على مائتين وخمسين رواية، وقدْ رُوى عن الصّادق عليه السلام، قوله: «اعرفوا منازلَ الرِّجال منّا على قدْر رواياتهم عنّا»[16].

وفي قبال ذلك، قيل بضعفه؛ استناداً إلى أمور ثلاثة؛ لكن، كلّها غير تامّة، وهي:

الأوّل: ما رواه الكشّيّ في حديثه عن أبان بن عثمان الأحمر، بالإسناد عن إبراهيم بن أبي البلاد، قال: كنتُ أقودُ أبي، وقدْ كان كُفَّ بصرُهُ، حتّى صرنا إلى حلقةٍ فيها أبان الأحمر، فقال: عمّن تحدِّث؟ قلتُ: عن أبي عبد الله عليه السلام، فقال: ويحه، سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام، يقول: أمَا إنّ منكم الكذّابين، ومن غيركم المكذِّبين»[17].

بتقريب: أنّ ظاهره أنّ أبانَ هو مَن كان يُحدِّث تلك الحلقة، ولما علم به والدُ إبراهيم، وبَّخه، ونقل الخبر عن الصّادق عليه السلام، الذي يدلُّ بظاهره على أنّ أبانَ من المكذِّبين.

ويُلاحظ عليه:

أوّلاً: أنْ لا ظهور في الرّواية في كون أبان هو مَن يُحدِّث تلك الحلقة، بل هي أقرب للظّهور في كون أبان مِن ضمن الجالسين فيها، لقوله: «حتّى صرنا لحلقةٍ فيها أبان».

ثانياً: أنّ والد إبراهيم مجهول، لم يُذكر في حقِّه جرحٌ أو تعديلٌ، فلا يمكن أنْ يُعتمد على كلامه.

الثّاني: ما ذكره الكشّيّ في ترجمته أيضاً، عن «محمّد بن مسعود، قال: حدّثني عليّ بن الحسن، قال: كان أبانُ من أهل البصرة، وكان مولى بجيلة، وكان يسكن الكوفة، وكان من النّاووسيّة»[18]، وقدْ بيَّن الكشّيّ معنى النّاووسيّة في حديثه عن عنبسة، قائلاً: «قال حَمدَوَيه: عنبسةُ بن مُصعب ناووسيّ، واقفيٌّ على أبي عبد الله عليه السلام، وإنّما سُمِّيتْ النّاووسيّة برئيسٍ كان لهم يُقال له: فلان بن فلان النّاووس»[19].

ويُلاحظ عليه: على تقدير سلامة نسخة الكشّيّ -لما ذكره المحقّق الأردبيلي رحمه الله: «في كتاب الكشّيّ الذي عندي: قيل كان قادسيّاً، أي: من القادسيّة، فكأنّه تصحيف»[20]- فإنّ أقصى ما تدلّ عليه فسادُ عقيدته، وقدْ قال السّيّد الخوئيّ رحمه الله: «قدْ ذكرنا غير مرّةٍ أنّ فساد العقيدة لا يضرّ بصحّة الرِّواية بعد ثبوت الوثاقة»[21].

الثّالث: ما ذكره الكشّيّ في ترجمة يَسار بن بشّار، عن «محمّد بن مسعود، قال: سألتُ عليَّ بن الحسن، عن يَسار بن بشّار، الذي يروي عنه أبان بن عثمان، قال: هو خيرٌ من أبان، وليس به بأس»[22].

ويُلاحظ عليه: أنّ صيغة (خيرٌ من) لا تُعطي أنّ أبان ليس بثقةٍ، بل لعلّها في المفاضلة أظهر، كقوله عليه السلام: «إمامٌ عادلٌ خيرٌ من مطرٍ وابلٍ»[23].

وعلى تقدير إفادتها أنّه ليس بثقةٍ، فهي لا تقف أمام ما تقدّم من شواهد وثاقته.

من رواياتِهِ:

وقدْ حُفظ عن أبان بن عثمان فيما وصلنا من كتب الأخبار رواياتٌ عديدةٌ في مختلف الأبواب، توافرنا على عددٍ مهمٍّ منها، وسنعرض بعضاً منها:

- ما رُوي في الكافي، عن «عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن إسماعيل الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كانتْ شريعة نوح عليه السلام أنْ يُعبد الله بالتّوحيد والإخلاص وخلع الأنداد، وهي الفطرة التي فطر النّاس عليها، وأخذ الله ميثاقَه على نوحٍ عليه السلام وعلى النّبيّين عليهم السلام أنْ يعبدوا الله تبارك وتعالى، ولا يُشركوا به شيئاً، وأمر بالصّلاة، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والحلال والحرام، ولم يفرضْ عليه أحكام حدود، ولا فرض مواريث، فهذه شريعته، فلبثَ فيهم نوح ألف سنة إلّا خمسين عاماً يدعوهم سرّاً وعلانية، فلمّا أبوا وعتوا قال:

﴿رَبِّ إِنِّي مَغْلُوبٌ فانْتَصِرْ﴾، فأوحى الله عزّ إليه: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؛ فلذلك قال نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾، فأوحى الله عزّ إليه: ﴿أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ﴾»[24].

- ما رُوي في الكافي، عن «عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن أبي حمزة الثّماليّ، عن أبي رزين الأسديّ، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: إنّ نوحاً عليه السلام لما فرغ من السَّفينة وكان ميعاده فيما بينه وبين ربّه في إهلاك قومه أنْ يفور التّنّور، ففار، فقالتْ امرأتُه: إنّ التّنّور قدْ فار، فقام إليه فختمه، فقام الماء، وأدخل مَن أراد أنْ يدخل، وأخرج مَن أراد أنْ يخرج، ثمّ جاء إلى خاتمه فنزعه، يقول الله عليه السلام: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ* وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ* وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾، قال: وكان نَجَرَها في وسط مسجدكم، ولقدْ نقص عن ذرعه سبعمائة ذراع»[25].



الهوامش

١- رجال النّجاشيّ: ٨/١٣، والفهرست: ٦٢/٥٩، ورجال الشّيخ: ١٨٨٦/١٦٤، ومعجم الأدباء، للحمويّ: ٣/٣٩/١.

٢- الثّقات: ١٢٥٨١/١٣١/٨.

٣- المغني في الضّعفاء: ١٢/٧/١، ويُنظر: ميزان الاعتدال: ١٣/١٠/١، ولسان الميزان: ٢٠/٢٤/١.

٤- المحاسن: ٣٦٠/٢/ح٨٦، والكافي: ٢٨/٥/ح٥، ٥١/٥/ح٤، ١٨٥/٥/ح٦، ٣٣٠/٥/ح١، ٥٥٤/٥/ح٢، وغيرها.

٥- المحاسن: ٣٩٥/٢/ح٥٩، وأمالي المفيد: ٢٨٥/ح٣، وفي طريق الصّدوق إليه: مشيخة الفقيه: ٤٨٤/٤.

٦- أمالي الصّدوق: ٣٦٠/ح١، الخصال: ٤٩١/ح٧٠، و٥٠٢/ح٦، علل الشّرائع: ٢٩/١/ح١، ٣٧/١/ح١، وغيرها.

٧- عُدّة الأصول: ١٥٤/١.

٨- الخصال: ٢١٨/ح٤٣.

٩- رجال الكشيّ: ٧٠٥/٦٧٣/٢.

١٠- الكافي: ٣٠٨/٤/ح١، ١٢٨/٦/ح٢، ٣٠٠/٦/ح٢، وكامل الزّيارات: ٤٥/ح١٣، والخصال: ٣٢٥/ح١٥.

١١- الكافي: ٥١/١/ح١٥، ٢٣٤/١/ح٤، ٣٠٦/١/ح١، ٤٩/٣/ح٣، ٥٧/٣/ح٥، ٦٤/٣/ح٥، وغيرها.

١٢- الكافي: ١٨/٢/ح٣، ٤٦٤/٦/ح١٥، وكامل الزّيارات: ٣٠٠/ح١٠، وأمالي الشّيخ: ١٧٩/ح٢.

١٣- الكافي: ٦٩/١/ح٢، ٤٠٧/١/ح٧، ١٤٢/٢/ح٥، ٢٠٣/٢/ح١٥، ٢١٠/٢/ح٢، ٢/ ٢٥٦/ح٢١، وغيرها.

١٤- الكافي: ٢٦٤/١/ح١، ٣٠٥/٣/ح١٩، ٣٥٥/٣/ح٥، ٥٢١/٣/ح٩، ٤١٤/٧/ح٣، وغيرها.

١٥- الكافي: ٤١٠/٢/ح٦، ٦٧٣/٢/ح٤.

١٦- رجال الكشيّ: ٥/١.

١٧- رجال الكشيّ: ٦٥٩/٦٤٠/٢.

١٨- رجال الكشيّ: ٦٦٠/٦٤٠/٢.

١٩- رجال الكشيّ: ٦٧٦/٦٥٩/٢.

٢٠- مجمع الفائدة والبرهان: ٣٢٣/٩.

٢١- مستند العروة الوثقى: ٤٥٩/٢٤، من موسوعته.

٢٢- رجال الكشيّ: ٧٧٣/٧١١/٢.

٢٣- عيون الحكم والمواعظ: ص١٢٦.

٢٤- الكافي: ٢٨٢/٨/ح٤٢٤.

٢٥- الكافي: ٢٨١/٨/ح٤٢٢.

من شُعراء أهل البَيت عليهم السلام

سُلَيمانُ بنُ قَتّة البَصريّ



د.أشرف عبد الحسن

البصرةُ، تلك الحاضرةُ الاسلاميّةُ التي تميَّزَت بمدرستها العلميّة النحويّة وعلمائِها في مختلف العلوم والفنون، ومنها: الأدب والشِّعر، وقد أنجبت فُحولَ الشّعراء والأدباء، ومنهم: سُليمانُ بنُ قتّة[1] البصريّ[2].

هو: سليمانُ بنُ قتّة القرشيّ العدويّ، مولى بني تَيْمِ بنِ مُرَّة بن كعب بن لؤيّ، من شعراء أهل البيت عليهم السلام، وُلد في النصف الأوّل من القرن الأوّل الهجريّ، كان منقطعاً إلى بني هاشم، وكان من الشيعة التابعين والشعراء، وكان محبّاً لأهل البيت عليهم السلام[3]. اسمُ أبيه: حبيبُ بنُ مُحارب، و(قتّةُ) أمّهُ، غَلَبت نسبتُه إليها دون أبيه[4]، وكان فارساً شاعراً[5]. عاصرَ من المعصومين الإمامَ علياً، والإمامَ الحسن، والإمامَ الحسينَ، والإمامَ عليَّ بنَ الحسين، والإمامَ محمَّد بنَ عليّ، والإمامَ جعفرَ بنَ محمد (سلام الله عليهم أجمعين).

من أشعاره:

قال في رثاء الإمام الحَسَن عليه السلام[6]:

يا كَذَّبَ اللهُ من نعى حَسَناً ... ليسَ لتكذيب نعيِه ثَمَنُ
كنتَ خليلي وكنتَ خالصَتي ... لكلّ حيٍّ من أهله سَكَنُ
أجولُ في الدار لا أراك وفي ... الدار أناسٌ جِوارُهم غَبَنُ
بدّلتهم منك ليت أنّهمُ ... أضحوا وبيني وبينَهم عَدَن

وهذه الأبيات تبيّن مدى حبّه الكبير للإمام الحسن عليه السلام، ومدى العلاقة التي كانت تربطه به سلام الله عليه، فيقول سليمانُ بن قتّه: كنت خليلي وكنتَ خالصَتي، ثم إنّه قد بيّن حالَه ومدى حزنه بعد استشهاد الإمام الحسن، فقال: أجول

في الدار لا أراك وفي الدار أناسٌ جوارهم غبن، وهنا قصد بالدار المدينةَ بشكلٍ عامٍّ؛ فقد أصبحت موحشةً بعد فقده، لا بل إنَّ أعداءَه سلام الله عليه يجولون فيها، ومنهم الذي عمل على سمِّ الامام، فما أشد تلك الحالة على محبّي أهل البيت، وما أشدّ فقدهم سلام الله عليهم.

وكذا رثى الإمامَ الحسينَ عليه السلام، قال السيد الأمين: وينبغي أن يكون أوَّلُ من رثاه سليمانَ بنَ قتّةَ العدويَّ التيميَّ[٧]، فإنّه مرَّ بكربلاء بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بثلاثة أيّام، فنظر إلى مصارعهم، فبكى حتّى كاد يموت، ثم اتّكأَ على فَرَس، وقيل: قوسٍ له عربيّة، وأنشأ:

مَرَرْتُ على أبْياتِ آل محمّدٍ
فلَمْ أَرَها أَمْثالَها يومَ حُلَّتِ

ألم تر أن الشمس أضحت مريضة
لفقد حسين والبلاد اقشعرت

فلا يُبْعِدِ اللهُ الدِّيارَ وأَهْلَها
وإنْ أَصْبَحَتْ مِن أهْلِها قد تَخَلَّتِ

أَلا إنّ قَتْلَى الطَّفِّ مِن آلِ هاشِمٍ
أَذَلَّتْ رِقاباً مِن قُريشٍ فَذَلَّتِ

وكانُوا رجاءً ثمّ أَضْحَوْا رَزِيَّةً
لَقَدْ عَظُمَتْ تلكَ الرَّزايا وجَلّتِ

وتسألُنا قيسٌ فنعطي فقيرَها
وتقتلُنا قيسٌ إذا النّعلُ زَلّتِ

وعند غنيٍّ قطرةٌ من دمائِنا
سَنَطلبُهم يوماً بها حيثُ حَلَّتِ

فلا يُبعدُ اللهُ الديارَ وأهلَها
وإنْ أصبحتْ منهم برغمي تخلَّتِ

فإنَّ قتيل الطفِّ من آلِ هاشم
أذلَّ رقابَ المسلمينَ فَذَلَّتِ[٨]

وقال في رثاء الإمام الحسين عليه السلام وأهلِ بيتِه وأصحابِه:

عينُ جودي بعَبرَةٍ وعويلِ ... واندُبِي إن نَدَبْتِ آلَ الرسولِ
سبعةٌ منهم لولْدِ عليٍّ ... قد أُصيبوا وسبعةٌ لعَقيلِ
واندُبِي إنْ بَكيتِ عَوناً أخاهم ... ليسَ فيما ينوبُهم بِخَذولِ
وَسَمِيَّ النبيّ غودرُ فيهم ... قد عَلَوْهُ بصارمٍ مَصْقولِ
واندُبي كَهْلَهُم فَليسَ إذا ما ... عُدَّ في الخير كَهلُهُم كالكُهولِ
فَلَعَمْري لقد أُصيبَ ذَووالقُرْ ... بى فبكى على المُصاب الجَليلِ
فإذا ما بَكيَتْ عَيْني فجُودي ... بدموعٍ تَسيلُ كلَّ مَسيلِ[٩]

عدّه ابنُ شَهْرآشوب في المَعالم من شُعراء أهل البيتِ المتَّقين، فقال: سليمانُ بنُ قتّة التيميّ[١٠]، توفّي بدمشق سنة (١٢٦هـ)[١١].

وبهذه الأسطر القليلةِ، نكون قد سلَّطنا الضوءَ على أحدِ الشُّعراء البصريّين الذين أنشدوا شعرَهم في مدح ورثاء أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، ويعدُّ أوَّلَ من قالَ الشعرَ في رثاء أبي عبد الله الحسين عليه السلام كما قال بذلك السيّد الأمين.

الهوامش

١- بفتح القاف والمثنّاة فوق المشدّدة تليها هاءٌ كما ضبطه ابنُ ناصر الدين في توضيح المشتَبَه ٧/ ١٨٣، وابنُ حجر في تبصير المنتبه ٣ / ١١٢٢، وابنُ الجزريّ في طبقات القُرّاء ١ / ٣١٤، وهو سُليمان بنُ قتّة التيميُّ، مولاهم البصري، روى عن ابنِ عبّاس، وعمرو بن العاص، وغيرِهما، روى عنه موسى بنُ أبي عائشة وغيره.

٢- ابن ناصر الدين الدمشقي، توضيح المشتبه، ٧/ ١٨٣.

٣- يُنظر: الكامل للمُبرَّد ١/ ١٠٦، وأعيان الشيعة ٧/ ٣٠٨، وقاموس الرجال ٥/ ٢٩١

٤- أعيان الشيعة ٧/ ٣٠٨، قاموس الرجال ٥/ ٢٩٢ عن ابن قتيبة، ويُنظر: حاشية مثير الأحزان ١١٠.

٥- توضيح المشتبه، ٧/ ١٨٣.

٦- أبو الفرج الأصفهانيّ، مقاتل الطالبيّين، ٥٠، وأعيان الشيعة ٣٠٩/٧.

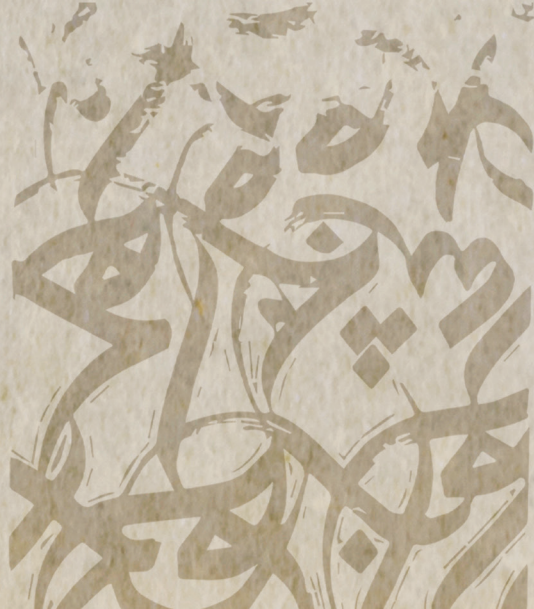
٧- أعيان الشيعة،١/ ٦٢٢.

٨- المبرد، الكامل، ١/ ١٨٦؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ٦٤؛ ابي الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ٨١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/ ٣٩٤؛ ابن نما الحلي، مثير الأحزان، ٨٨؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢/ ٢٧٧.

٩- مقاتل الطالبيين، ٩٥- ٩٦

١٠- معالم العلماء، ١٨٦.

١١- المبرد، الكامل، ١/ ١٠٦، ابي الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ٨٤، وأعيان الشيعة، ٧/ ٣٠٩





استنتاجاتٌ تربويّة من وصيّة الإمامِ عليٍّ عليه السلام إلى كُميل بنِ زياد

أ.د. نجم عبد الله الموسوي

ترك لنا أميرُ المؤمنين عليٌّ عليه السلام تراثاً علميّاً وتربويّاً ونفسيّاً ثريّاً يستحقّ أن نمعن النظر فيه؛ بغية قراءته قراءةً واعيةً دقيقةً لتبيان ما فيه من دروسٍ وعبرٍ وعظاتٍ من شأنها أن تسهم في صقل سلوكنا وشخصيّاتنا، وتهذيبها والرقيّ بها إلى مصافّ السموّ والتعالي في درجات الكمال التي يريدها الله تعالى منّا.

ومن هذا التراث تجلّت وصيّتُه المباركة إلى كميل بن زياد النخعيّ، التي تعدُّ بمثابة موسوعةٍ تربويّةٍ وأخلاقيّةٍ، احتوت على سماتِ وصفاتِ الإنسان الناجح، والعبد القريب إلى الله تعالى، وهي لا تقلُّ شأناً عمّا صدر عنه عليه السلام من عهد ووصايا وخطب وتوجيهات وإرشادات وحِكَم، ومن خلال تسليط الضوء على الوصيّة، نستطيع أن نستنتج الأمورَ الآتية:

• أنّ هذه الوصية المباركة خرجت من إمام معصوم مفترض الطاعة، وأمير للمؤمنين، وكانت بمثابة دليل عملٍ لا بدّ للإنسان الذي يريد الفلاح والنجاح في دنياه وأخرته من أن يسير عليها، ويتّخذها نبراساً ينير طريق حياته، وخارطة لخطواته، وسلّماً لنجاحه، وضماناً لفلاحه.



• أنّ الوصيّة قد خُصّت باسم كميل بن زياد النخعيّ (رضوان الله تعالى عليه)، وهذا دليلٌ على مكانته وقربه من الإمام عليٍّ عليه السلام، وأنّه من حواريّ الإمام عليه السلام، ومن خاصّته، لكنّها في الوقت نفسه موجّهةٌ بخطابها لكلّ شيعته ومَواليه ومحبّيه؛ ليعملوا بها، ويطبّقوها في حياتهم.

• تضمّنت الوصيّةُ المباركةُ محاورَ متعدّدةً، انطلق فيها الإمام عليٌّ عليه السلام في كلّ محور منها انطلاقةً دينيّةً علميّة هادفةً، عكست ما لدى الإمام عليٍّ عليه السلام من أدب وأخلاق وعلم اكتسبها من تربية رسول الله صلى الله عليه وآله له، ليوصل هو بدوره هذه المحاور للمؤمنين؛ ليجعلوها جزءاً من سلوكيّاتهم وتصرّفاتهم.

• يرى الإمامُ عليٌّ عليه السلام أنّ من الضروريّ أن يكون بدء اليوم باسم الله سبحانه وتعالى، واللجوء إليه، وأنه لا حول ولا قوّة إلّا به وبمعونته وسداده، فالاتّكال على الله تعالى ينجي العبدَ ويحفظَه من موبقات الدنيا ومن منزلقاتها الكبيرة.

• حَرَصَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام على أن يكون للمؤمن اتّصالٌ قويٌّ بالنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، وبآله الطاهرين عليهم السلام؛ بوصفهم الكهفَ المنيعَ الذي لا بدّ منه، ويجب الصلوات عليهم والاستمرار على ذكرهم؛ لأنّ لهم مكانةً كبيرة عند الله تعالى.

• توجيه الإمام علي عليه السلام لكميل الى أنْ لا يأخذ العلم والمعرفة إلّا عن طريق أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّهم خزنةُ العلم، ومنبعُه الأصيل، وورثةُ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ الحرص على الأخذ منهم يجعل الفرد جزءاً منهم فيكون منهم.

• اهتمام الإمام عليٍّ عليه السلام بمكارم الأخلاق، وكيفيّة التعامل مع الأفراد في المجتمع، وبيان أنّ من الواجب أن يكون الفردُ متحسّسا آلام الآخرين وآمالهم وطموحاتهم، حتّى الخادم الذي يعيش معه، فالأخلاق هي التي تجعل الإنسان مقبولاً من الآخرين، محترماً في قومه، مرضياً لمولاه وربّه، وهي الأداة والوسيلة لرقيّ الفرد ونموّ شخصيّته؛ فمكارم الأخلاق من تواضعٍ وعفّةٍ هي جمالُ المؤمن، وزينتُه، وسموُّه، ونبلُه.

• تأكيد الإمام عليه السلام على ضرورة مواساة الآخرين وخصوصاً الفقراء في ما لدى الإنسان من إمكانات مادّية ولو بسيطة، فالحقُّ الشرعيُّ هو سرُّ نموّ وزيادة الأموال، وجعل البركة والخير فيها، ومن ثمَّ، فإنّ الصدقات تنمو عند الله جلّ وعلا؛ فقد سعى الإمام عليه السلام في وصيّته إلى تربية المؤمنين على الصدقة وعلى مشاركة الفقراء والمحتاجين والمعوزين بما يتيسّر لدى الإنسان ولو بالشيء البسيط والقليل؛ لأنّها من أعظم أبواب الخير والبر، وخصوصاً إن كانوا من ذوي القربى، أي: من باب صلة الرحم، وأن الصدقة تنمو وتربو عند الله تعالى، وهي وقاية من نار جهنّم ومن العذاب.

• استعرض الإمامُ عليٌّ عليه السلام جانباً بايلولوجيّاً مهمّاً في حياة الأفراد، ألا وهو مسألة الأكل والشرب، وحرصه على أهمّيّة الطعام وآدابه وأخلاقه في الشريعة الإسلاميّة؛ فالطعام ضروريٌّ لبقاء الإنسان على قيد الحياة، ولكنَّ هناك ضوابطَ تضمن له العافيةَ والأكلَ بسلامة، أضف إلى ذلك أنّ سمةَ الإطعام تقوّي الجانب الاجتماعي، وتنمّي حالة التكافل والتكاتف بين أفراد المجتمع الواحد، وكذا تساعد على دوام الخير، وهو ضروريٌّ لمواساة الآخرين، ومساعدتهم، والعطف عليهم، وهي جزء من الإحساس بعوز الفقراء، وعونهم، وخدمتهم.

• أكّدَ الإمام عليٌّ عليه السلام مسألة المؤاخاة بين المؤمنين، وأن تكون مؤاخاةً حقيقيّةً مبنيّةً على محبّة الله ورسوله، وعلى وفق مبادئ الله والرحمة والتعاون بين المؤمنين، وأنّ المؤمن يجب أن يكون حريصاً على سرّه وأسراره، فلا يبوح بها إلّا لمن هو أهْل لحفظ السرّ وكتمانه، وعلاوة على ذلك، يضع الإمامُ عليه السلام معاييرَ للحكم على الأخ الصحيح والمخلص والوفيّ، التي منها عدمُ الخذلان عند الشدّة، وعدمُ الغفلة عند الجريرة، وعدم الخداع عند السؤال، وعدم تركه عند الحاجة، وإن رأى خطأً، أصلحه وعدّله وقوّمه.

• يضع الإمام عليٌّ عليه السلام مجموعةً من الحقائق في مسألة

المجادلة أو الحوار، فيرى أنّ من الواجب أن يكون الشخص الذي تحاوره ممّن لديه مرتكزاتٌ فكريّة وعقلائيّة، وإلّا، فإنّ الجدالَ أو الحوارَ لا يجدي نفعاً ممّن يتّصفون بالجهل والخسّة والوضاعة.

• ارشدّ الإمام عليٌّ عليه السلام كميلاً النخعيَّ إلى مسألة مهمة جدّا، وهي الابتعاد عن الظَّلَمة والظالمين، وعدم الوقوف على أبوابهم، أو مساندتهم، والاختلاط معهم؛ حتّى لا تتأثّر شخصية الانسان بهم، فتصبح مثلهم، إلّا في حالة اضطرار مع ضرورة المداومة على ذكر الله وتعظيمه؛ لاتّقاء شرّهم، وتذكيرهم بالله تعالى.

• نبّهَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام إلى مسألة مهمّة أخرى، ألا وهي مسألة العفّة، التي يقصد بها: عفّة الفرج وعفّة البطن، وأنَّ الإنسان حتّى يكون في مصافّ العباد الحقيقيّين لله تعالى، يجب عليه أن يتحلّى بالتحمّل والتجمّل والصبر والعفّة، وأنّ العفّة هي مصدر سلامة الإنسان وحفظه، وبها يحمي الإنسانُ نفسَه من الفواحش والكبائر والرذائل.

• تأكيد الإمام عليٍّ عليه السلام في وصيّته على مبدأ الإخوّة بين المؤمنين، وأنّها ضرورة قائمة في بناء المجتمع المؤمن والمسلم، وأنّ التعاون بين المؤمنين حالة ايجابيّةٌ تقوّي عزيمتَهم، وتسند بعضّهم بعضاً، وأن يكون تعاون المؤمنين على الخير والبرّ والتقوى، والابتعاد عن كلّ ما يُسخط الرحمنَ ويرضي الشيطانَ، وأن لا يخذل الانسان أخاه عند الشدّة، ولا يخدعه ولا يتركه حينما يحتاج إليه.

• نظر الإمام عليٌّ عليه السلام في وصيّته نظرةً واقعيّةً للتعامل مع الأعداء والمناوئين، وأخذ الحيطة والحذر منهم، وعدم إفشاء الأسرار لهم، وعدم التذلّل إليهم والخنوع والانقياد لهم؛ لأنّه يُضعف المؤمنين ويقوّي شوكة الخصوم.

• أفرد الإمامُ عليٌّ عليه السلام جانباً مهمّاً في وصيّته لكيفيّة مواجهة الشيطان وجنوده وأنصاره وأعوانه، وأنّه عدوٌّ للإنسان لابد من الاحتراز منه وأخذ الحيطة والحذر منه ومن وساوسه، ومن الفخاخ التي ينصبها للمؤمنين؛ فهو محرّضٌ على المعصية، يجمّل الموبقاتِ، وينصبُ الشراكّ، ويسوّلُ المعصيةَ، ويصنع العداوةَ بين الناس، وعليه، لا بد من التحرّز والتحصّن منه وقاية لشرّه، واللجوء إلى الله تعالى والاستعانة به على الشيطان الرجيم.

• يلزم الإمام عليٌّ عليه السلام كميلَ بن زياد النخعيَّ والمؤمنين بأداء الفرائض والواجبات، التي أوجدها الله سبحانه وتعالى وفرضها على المسلمين والمؤمنين، وأنها مما سوف يسألهم الله عنها، وأمّا النوافل، فهي تعين المؤمن على أهوال يوم القيامة ويوم الطامّة.

• يريد الأمام عليٌّ عليه السلام في وصيّته المباركة أن تكون الأفعالُ العباديّة الواجبةُ من صلاة وصوم وصدقة وغيرها سلوكاً حقيقيّاً مؤثراً في شخصيّة الفرد وأفعاله وأقواله، أي: أن تكون صادرةً من القلب الواعي لا من الجوارح، لا أن تتحوّل من سلوك روتينيّ رتيب، فالعبرة ليست بكثرة الصلاة والصيام وغيرها، بل في الإخلاص لله تعالى، والصدق والخضوع والتذلّل بين يدي الله.

• أشار الإمام عليٌّ عليه السلام إلى أهمّيّة الشكر والحمد في مسيرة الإنسان في هذه الحياة؛ لأنّ نعمَ الله التي أنعم بها علينا لا يمكن أن تُعدَّ ولا أن تحصى، فالإنسان الذي يحسُّ بهذه النعم لا بدّ له من أن يشكر المُنعم، ويجعلَ نفسَه في دائرة الاعتراف لله بفضله وجوده ونعمه على الدوام، فيجب الشكرُ والتحميدُ والتمجيدُ والتسبيحُ والتقديسُ للذات الإلهيّة؛ اعترافاً بالفضل والمنّ من الله تعالى.

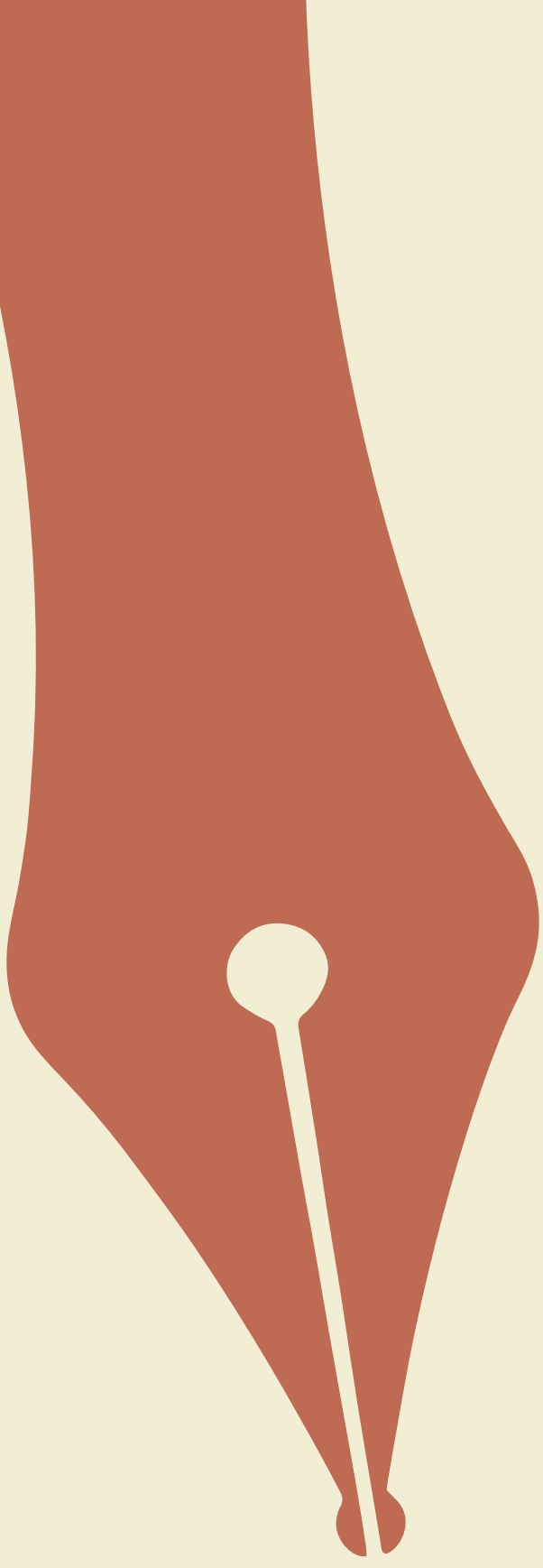
• أعطى الإمام عليٌّ عليه السلام الأمانةَ أهمّيّةً واضحةً في وصيّته لكميل، وجعلَها شعاراً وعنواناً للمؤمن الحقّ، فالأمانة يجب أن تؤدّى إلى أصحابها وأهلها، سواءٌ أكانوا أبراراً أم فَجَرَةً، وبغضّ النظر عن دينهم وانتمائهم وقوميّاتهم، وهذه تعليماتُ السماء وتوجيهات الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) وهو في ساعاته الأخيرة.



• بيّنَ الإمام عليٌّ عليه السلام في وصيّته المباركة دور أهل البيت عليهم السلام في قيادة الأمّة ونجاتها، وأنّ المقامات التي لديهم هي من عند الله سبحانه وتعالى، وأنّ الذي يعرض عنهم ليس منهم ولا من الرسول صلى الله عليه وآله ولا من الله تعالى، وأنّهم هم المتّقون، وهم المحسنون، وهم الأولياءُ، وهم الأئمّةُ، وبهم النجاةُ من النار ومن العذاب، فأهلُ البيت عليهم السلام هم الثقلُ الأصغرُ بعد القرآن الكريم الثقل الأكبر وهم سفينةُ النجاة، وسبلُ الهداية والرشاد.

• عرضَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام في وصيّته توجيهاً رائعاً لكميل بن زياد ولنا جميعاً، وهو: أن نتجنّب نار جهنّم، فكأنّه يوضّح لنا صورةَ أبوابها مقفلةً موثّقة مطبقةً، فلا مجيب لأصحاب النار، ولا إغاثةَ، ولا رحمةَ، ولا شفقةَ، ولا عطفَ، وينادون بالغوث، ويجابون: إنكم ماكثون فيها، إنها صورة مخيفة جدّاً، وتبعث على الحزن والخوف من النار، وتشجّع المؤمنين على بذل قُصارى جهدهم في الابتعاد عنها والحذر منها؛ لكي لا تأخذَهم الحسرةُ والندامةُ يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.

وفي الختام، يجب أن نذكر أنّ هناك مضامينَ أخرى عديدةً حملتها وصيّةُ الإمام عليٍّ عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعيّ، تحتاج إلى تفاصيل أدقّ، وفيها مضامين عاليةٌ لا يمكن إيضاحُها، وتمّ التركيز على الإشارات الرئيسة في وصيّته المباركة، تاركاً للقارئ اللبيبِ أن يطّلع على وصيّته عليه السلام؛ ليجد فيها الكثير من الماء الذي يروي الظمأ ويسقي الروح بعبارات صدرت من الإمام عليٍّ عليه السلام، إن التزم بها الفردُ، حقّقَ سعادة الدارين: دارِ الدنيا ودارِ الآخرة.



العملُ الكبيرُ قابلٌ للجَدلِ

محمّد البصريّ

العملُ الأدبيّ قد يعاد تفسيرُه مرّات لا حصر لها؛ ما دام لا يوجد هناك سببٌ يدعونا للكفِّ عن المناقشة عدا أن يكون ذلك من قبيل التخلّي، وهي لغة بحدِّ ذاتها.

فالأدبُ لا يعدو أن يكون أكثر من لغة، أي: منظومة من الإشارات أو لغة تكمن لا في الرّسالة بل في المنظومة.

ولمّا كان الأمرُ كذلك، فإنَّ الأديب غيرُ مطالب بإعادة تشكيل المنظومة التي ينطوي عليها العملُ الأدبيُّ، وإنّما منظومةُ العمل وحسب، تماماً مثلما لا تكون مهمّة اللغويّ فكَّ معنى الجملة بل تحديد البناء الشكليّ الذي يسمح ببثّ معانيها.

وعلى وجه التحديد، فإنَّ إقرار النقد بأنّه لغةٌ فقط أو ما وراء اللغة، يجعله قادراً ولو بشكل متناقض ولكنّه أصيل؛ لأنّه يعبّر عن أفكاره هو بشكل موضوعيٍّ وذاتيّ.

فالناقدُ يتحدّث بلغة الظرف الذي يعيشه، ومن ناحية أخرى؛ إنّما يختار الناقدُ أو الأديب للغته باعتبارها وسيلةً لممارسة عمليّةٍ ذهنيّةٍ خاصّة، مشاركاً فيها (روحَه الدفينةَ)، أي: رغباتِه ومسرّاتِه ورفضِه واستغراقِه وو.....

فالعملَ الأدبيُّ تنظيمٌ لما هو معقول في عصرنا الذي نعيش فيه.



مواسمُ الماءِ

(في رِفْقةٍ نحوَ الفرات سِرنا معاً.. أنا الجودُ المُراقُ ماءً
وهو العبّاسُ المُراقُ دمعاً ودماءً)

الشاعرة البصريّة حميدة العسكريّ

حُلمٌ يُشيِّئُني مواسمَ ماءِ
كصلاةِ غَيْمٍ في مدى الإرْواءِ
غَيْمٌ، وَلكنْ لا نُضوبَ لِقمْحِهِ
مُذْ أرغَفَتْهُ الكفُّ قوتَ بَقاءِ
كَفٌّ تُلاعِبُ حيلةَ الظمأِ الذي
حارَتْ تُفسِّرُهُ لُغاتُ ظِماءِ
هي مَنْ تُعبِّدُ للإباء طريقَهُ
وتَجُوسُ خَسْفًا في دُروبِ دَهاءِ
هي زيْتُ قِنديلِ النقاءِ، سبيلُهُ
خُلِقَتْ لفتحٍ في اندفاقِ ضياءِ
قَمرٍ تسربَلَ مِن خُلودِ يقينِهِ*
زُبَرًا مُطَعَّمَةً بِمَدِّ إباءِ
وعلى مشارِفِ كتفِهِ أنا مقلةٌ
حَفِلتْ مَهاطلُ دمعِها بِدماءِ
صاحَبْتُهُ(مُوسَاهُ) كُنتُ،وَ(صالِحًا)*
كانَ انْدِهاشي يومَ عاشوراءِ
عباسُ مَتْنُ حِكايَتي أنتَ الصَّدى
في زَأْرَةِ الكرَّارِ عندَ لِقاءِ
معناكَ شُرفَةُ أنجُمٍ في نبضِها
ال هيهاتُ تقمعُ لعنةَ الظلماءِ
اذْ أَقتفيكَ حكايةً أو حكمةً
تَنمو على شفَتَيْ بَريدِ نماء
هاكَ اعتصامَ الجودِ في صَفحاتِهِ
خطَّ الخُلودُ روايةَ السَّقَّاءِ
وَشفاهُ أسئِلَتي تَحَيُّرُ ذاهلٍ
عمَّا جَهِلْتُ بِدهْشَتي الخرساء
لا شَيْءَ يَكسرُ مِن عمودِ تَجَلُّدي
غيرُ احْتدامِ الملحِ في أَنْبائي
وَظنِنْتُ أَنَّ جَبيرَتي هِي رِحلَةٌ
نَحوَ انبِثاقِ رَوَافدِ الأَنْدَاءِ
لكِنْ تَجنَّحَ في مَدايَ تساؤُلٌ
عَن صَرْخةِ الّلا بالدِّمَا عَفْراءِ
رَغْمَ الموائدِ ماغوَتْ لكَ مُهجَةٌ
بِجَريرَةِ الإيجابِ والإصْغاءِ
أَبَذلْتَ لِلسهْمِ الأَثيمِ نَواظِرا
وأَبيْتَ صفْحَاً عنكَ في اسْترضَاءِ؟

وأَنـا أُهيْـتي كي أَبَـلَّ صَبـابَتْهُ
كـانَتْ برتْكَ بمِبْرَدِ الرمضـاءِ
فَأَجَبْتَني لَائِي حَـيـاةٌ في حيا
ءٍ، لـنْ أُتـابعَ خِطَّةَ اللُّؤَمـاء
رَغـمَ التَّصَحُرِ في فَمِـي لكنَّـني
ما نـالَ من قلـبي ظَما الصحراءِ
عندي ارْتقاءُ المجدِ، عَدْلُ جنانِهِ
ضَربي، ولا تسـليـمَ للهُجَنـاءِ
لا دَلْـوَ لي فيما تَعكَّرَ صفْـوُهُ
فالصّـافيـاتُ سِقـايـتي ودلائي
وَإِذِ انْسَرَبْتَ قِيامةً لِتشقَّهُم
كـعصا الكليـمِ بزجْرَةٍ عصمـاءِ
في ضربةٍ نَجـلاءَ أنتَ لُقـاحُها
إِنْ زَلزَلَتْ فَالجمعُ مَحضُ هَباءِ
وَرَقبْتُ فيـكَ تَطلُّباً حيثُ الفُرا
تُ وحيثُ كأْسُ دهاقِه الفيحـاءِ
أَنْ تُنقِعَ الغَلَّاتِ فوقَ جَماجِمِ الـ
وَيْلاتِ، عندَ مَسـاكِبِ الأفيـاءِ
لكنَّنِي رَاقبْـتُ مُختَزَلَ الاُخـوّةِ
فِكـرةَ الإيـثـارِ بالإرْجـاءِ
حيثُ ارتباط الروحِ مجرى أبهرٍ
شريـانُـها مُتَوضِّئٌ بـوفـاء
كنَّا لبوصلةِ الفـراتِ جهـاتِـها
وصلاتُنـا نحوَ انعتـاقِ المـاءِ
كـان الفراتُ تمـائمـا لكنْ متى
بخُلَتْ شفـاهُ ميـاهِه بشفـاءِ

فَنَحرْتُ قُربانَ اصْطِباري دمعةً
سالَتْ مع الأوداجِ في الغبراءِ
ياذا ابتلاءٍ قـد تـفـرَّدَ صبـرُهُ
أأنفْتَ عَيْشاً ذاتَ حوضٍ رَواءِ
فأجـابني التنهيـدُ: لا، مُتكَوِّرًا
حَوْلَ اصْطلاءِ المُهجةِ الخفراءِ
لا،لسْتُ واردَ شَرْبَةً عزَّتْ على
كَبِـدِ الأَبِيِّ، وعِصمَةِ الآبـاءِ
لائي تَعـاظَـمَ نزْفُها إِذْ أَنَّهـا
حبلُ اعتصـامٍ مُدَّ للعليـاءِ
أنا جبهةُ التـاريخِ تكتبُ ذُلَّها
إِنْ ينثني فيـها اعْتِزامُ لِـوائي
ياجودُ أكثرْتَ اللجاجةَ فاقتطفْ
عنقـودَ أجوبتي بكفِّ رجـاءِ
ماخُطَّ في لوحِ المليكِ تخاذلي
بـل بَصْمَتي الإيثـارُ في ايفـائي
عطِشٌ أنـا لكنّ صبريَ مستـحٍ
من صبرِ صبية سيِّدِ الشهداءِ
وتجلُّدي، لي موعدٌ أُسقى دما
يَ، مُوفِّيا عـهدا لآلِ كسـاءِ

---

* قَمَر هنا بدل مطابق عن (ضياء)

*صالحاً: هو العبد الصالح الذي رافقه النبيُّ موسى عليه السلام



بلُطفِهِ اهتَدَيتُ

الجزء الأوّل



بقلم: مريم محمود

بجَمال الشهر الثاني قبل نهاية السنة التقويميّة، نهايةَ الصيف، بدايةَ الشتاء، نسماتٌ خفيفة تداعبَ الوَجَنات، وغيوم لَتُبيّن جمالَ خالقِها، وبجمالٍ بصريٍّ، ولوحةٍ من صنع الخالق الرحيم، ببداية هذا الشهر تقريباً تبدأ المراحل الأولى في الجامعات بالمباشرة لبدء عام جديد لحياتهم، ومرحلة جديدة لبناء شخصيّة قويّة؛ ليكونوا أرقى طبقة في المجتمع بعلمهم، وفي هذه الأجواء تحديداً في جامعة البصرة، كانت (هبة) بحالة شغف وتوتّر في الوقت ذاته؛ فقدْ كانت فتاةً ذاتَ وجه حَسن، عانت لتصل إلى هذه المرحلة؛ فمن أوّل أحلامها أن تدخل الجامعة، كان لباسُها في العادة مُظهرٌ لمفاتن جسدها، بحجابٍ ليس بما جاء به الشارع المقدّس، بوجهٍ يحتوي على صبغةِ زينة ملفتةٍ للانتباه، صوتُها مرتفع عادةً وإنْ خَفَضته، كثيرةُ الاختلاط بالجنسِ الآخر، وكثيرة الضّحك معهم، مبتعدة عن الله، قليلاً ما تذكره، وعندما تذكره، فلمصلحةٍ شخصّية،، وهذا خطأ فضيع قد يرتكبه الإنسان، فهل من المنصف أن تعبُد اللهَ لمصلحتِك، لنفسِك، لراحتِك فحسب؟! أليسَ من المفترض أنْ تكون عبادةُ الله طاعةً وإيماناً ومعرفةً بقدرة الله، ليس فقط عندما يسومُنا سوءٌ نلجأ اليه، وإنّما في الرخاء والشدّة معاً، في الرّخاء والخير حامدين، وبالشدّة والعسر طالبين رحمته عزّ وجل.

مرّت أيامٌ وأشهرٌ و(هبةُ) انشغلت بدراستها، فجاء خبرٌ في أحد الأيّام مفاده أنَّ جامعتَهم أقامت ندوة بعنوان (الطاعة) بمحاضرة من أحد علماء الدين، حضرت (هبةُ) هذه الندوةَ، كانت عريفةُ الندوة فتاةٌ بشخصّية رزينةٍ وصوتٍ مرتفعٍ ومُسيطر، لدرجة أنَّ الكلَّ أنصت لها أثناء كلامها، وبلباس لا يُظهر مفاتن جسدها، محتشمٍ من جميع جهاته، دامت

الندوة لساعتين تقريباً، استمعت لها (هبةُ) بكلّ جوارحها، تمعنّت بكلّ كلمة قالها العالِم، تأمّلت لداخلها، وقالت بينها وبين ذاتها: هل أنا كذلك ؟ هل أنا منهم؟! خرجت وهي شاردة الذهن، أغلب الفتيات كُنّ يمتدحنَ عريفةَ الندوة على جرأتها وفصاحتها بالكلام، أعجبَهم إطلاقُها لصوتها، كانت تراقبهم بصمت فحسب، لم تنبَس ببنت شَفَة، وإنّما اكتفت بالمراقبة، وأثناء ذلك قُطعت سلسلة أفكارها بصوت:

- السلام عليكم، هل لي بقلم!

- نعم تفضّلي.

عندما انتهت من استخدامه أرجعته بابتسامة روحيّة لطيفة وكلمة شكر على فعلٍ بسيط بحدّ ذاته، (هبة) بصوتها الداخلي: أيُعقل أن يكون الإنسانُ بهذه الرزانة والعفّة، وفي هذه الأثناء نطق لسانُها بصوت مسموع -عجيب-

فتاة بجانبها: نعم (هبة)، قلتِ شيئاً؟

- لا، لا، آسفة.

أكملت حياتَها الجامعيّةَ بهدوء يسودها، فلا من مواضيع ملفتة لها، أو حتّى مواقف تمرّ بها لتناقشها، وإنّما بهدوء تامّ، وغلبَ على طابعها المَلل، أنهَت شهرين تقريباً، لم تكن لديها صديقة بذاك القرب إلى قلبها ومستودع لأسرارها، بعدُ ما زالت تخالط الجميعَ بدون مقرُبة من أحد، صادفت أثناء تجوالها في حرم الجامعة الفتاةَ ذاتَها، نعم، عريفة الندوة بنفسها، راقبتها بعينها لأفعالها وتحرُّكاتها، وكأنما لا يوجد أحدٌ غيرُها في ذلك المكان، بعد أن انتهت الفتاةُ من محادثةٍ دارت بينها وبين زميل لها وهمّت بالمغادرة، نادتها (هبةُ) على استعجال، توقّفت لحظة، والتفتت لها بابتسامة رقيقة على شفتيها:

- نعم، تفضّلي، هل من شيء؟

- بدر إلى ذهني سؤال، هل لي بطرحه؟

- تفضّلي، أعانني الله على جوابه.

- رأيتُ فيكِ من الالتزام والعفّة الكثير، فتساءلتُ: من عادة الفتيات أمثالكِ أن لا يخالطْنَ الرجالَ، ولا يقِفْنَ معهم لفترة، وإن كان هناك من تفْعَل ذلك، ولكن، كيف! سمعتُ أنّهُ لا يجوز؟ أليس يجب ان تحترمي حجابكِ وأن لا تفعلي ذلك؟!

كانت(هبة) تنتظر جواباً بأعين تراقب بصمت، ما سيكون جوابها؟ وهل ستنزعج؟ هل ستغضب؟

فتقّدمت الفتاة بالحديث، قائلة:

- أولاً ما اسمكِ؟ هل لي أنْ أعرف؟

- أوه، آسفة، دخلتُ بالموضوع دون أنْ أُعرّف عن نفسي، أنا أدعى (هبة).

ـ الفتاة: أهلاً، تشرّفتُ بمعرفتكِ، أنا اسمي (فاطمة)، ومن دواعي سروري أنْ تسأليني هكذا سؤال، فلطالما يُساء فهمُ الفتيات أمثالي، بدءًا: أنْ يكون كلامُكِ مع زميل بموضوع يخصّ دراستكِ بسؤال منكِ أو منه، ويكون الجواب مقتصراً على ذلك، فهذا لا شبهة فيه، وإنّما نحن طلّاب علم، ووجب علينا ذلك، وبالمناقشة نستفيد، فأنا لم أُسئ إلى حجابي كما قلتِ، وإنّما أنا أحترمه بكامل ما عندي من قوّة لأعطيَ حقَّه من الاحترام، فعندما ترين هكذا موقف، لا تسيئي الظنّ، (فإنّ بعض الظنّ إثم)، أحسني ظنّكِ بالناس، لتكوني براحة بال، وأنْ لا تُسيئي لأحد، ولا تخدشي كرامته.

- أوه، حسنٌ، شكراً، شكراً جدّاً، أشكركِ لأنّكِ لم تنفعلي ولم تنزعجي من سؤالي الذي يُعدّ وقحاً وتدخّلاً في شؤون الآخرين عادةً، وآسفةٌ، وأعتذر عمّا بَدَرَ مني من سوء، سأعمل جاهدة على أنْ لا أُسيءَ الظنَّ بأحد.

- الشكر لله عزيزتي، وحسنٌ، عليّ المغادرة الآن، فمحاضرتي ستبدأ بعد عشر دقائق، بالتوفيق.

غادرت (فاطمةُ) والابتسامةُ لم تفارق وجهَها، وكأنّها تحاول أن لا تُشعر(هبةَ) بأنّها أساءت إليها أو أزعجتها، أو أنْ تحملَ (هبة) همَّ ذلك.

- أَمِنَ الممكن أن أقول: إنها تُعجبني، فتاةٌ مثلُها تُعجبني جدّاً، هل لي أنْ اكون مثلَها أو خصلةً منها على أقلّ تقدير؟!

أكملَت طريقَها لتحضرَ محاضرَتها الأخيرةَ، التي من الممكن أن تكون قد تأخّرت عنها بسبب ما حصل،دخَلَت القاعةَ، وقبلَ الأستاذ بخمس دقائق، جلست، وأطلقت تنهيدة:

- آه أنتِ..الفتاة تلك..عجباً.. أوه، آسفة، صُدمتُ حقّاً، عذراً.

- بضحكة شبه مكتومه: أأنت بهذا القسم أيضاً؟ لم ألحظ وجودَكِ يوماً.

- أجل يا (فاطمةُ)، أنا هنا، لكنّني عادةً ما أجلس في النهاية، لذلك لم ترَيني، ولم نلتقِ أيضاً، ضَحِكتَا معاً، وقُطعَ ضحِكُهما بدخول الأستاذ المتأخّر عن موعده بدقيقتين! بعدها دارت بينهما محادثة مغزاها جميلٌ، وبكلمات لطيفة، وبهدوء تامّ، نقاشاتٌ وأسئلةٌ وطموحاتٌ ورأيٌ، وكلّ ذلك مرّ دون أن تشعر إحداهما بالوقت، مرّ وكأنّه لم يمرّ، وكأنّه طيفٌ رقيقٌ، نظرَت (هبةُ) لفاطمةَ بعينين مغزاهما الشكر والامتنان، لم تنطق (فاطمةُ)، واكتفت بالابتسامة.

ـ (هبة): أَمِنَ المعقول أن تكون تلك الفتاة قريبةً منّي وكأنّها جزئي؟! عجباً لروحها الخفيفة.

يومٌ جديدٌ، وأيّامٌ تنقضي من أعمارنا دون أن نستثمرها بما هو أثمن، وما هو أفضل لنا، بهذا الجوّ المشحون في الجامعة تعرّضتْ (هبة) لنقدٍ وانتقادات من فتيات على طريقة لبسها أو حجابها أو أيّ شيءٍ يخصُّها، (هبةُ) شخصّيتُها خجولة، ولا تخطر ببالها كلماتٌ لتردّ عليهم، حتّى اكتفت بالبكاء، نادت من أعماق قلبها على (فاطمة)، كانت تحتاجُها لتقف بجانبها على الرُّغم من أنّها تعلم بأنّها قد تقف ضدّها معهم، ولكن، أهوَ من شيم (فاطمة) وأخلاقها؟ وبينما هي في حيرتها ومع دموعها، وإذا بصوتٍ حاسمٍ اخترق الأجواء:

- أيعقل؟! أَمِنَ المنصف أن تقفوا جميعُكم ضدّها؟

كان ذلك الصوت الحاسم صادرٌ من فاطمة.

- كفكفي دموعَكِ، فالدموع لغير الله ضعف.

(الفتيات): لكنْ، (فاطمة)، ما شئنكِ؟ كُنّا ننصحها فحسب، ألا ترين كيف هي؟! وأشرنَ إليها بسباباتهنّ.

(فاطمة): أهكذا تكون النصيحةُ برأيكُنّ؟ أهي نصيحة أم إذلالٌ؟

(الفتيات): لا نعرف كيف تختلطين بهكذا نماذج من البشر، عجباً لكِ يا فاطمة!

(فاطمة): أُخالطُ روحَها قبلَ جسدها، لا تُسيئي لها بكلامكِ عنها، هيّا هبةُ، تعالَي، سَحبَت (هبةَ) من ذراعها وغادرتا المكان، منصرفتين إلى شجرةٍ تستظلّان بظلّها، وتتنسَّمان الهواءَ العليلَ، فأستأنفت فاطمةُ:

- يكفيكِ بكاءً، ألم تتعبي؟ نظرت هبةُ لفاطمة، فرأت ابتسامتها التي تُذهب الشقاء.

- لكن!!

- لكن ماذا؟

- لقد أُهنتُ يا (فاطمةُ)، لماذا فعلوا ذلك معي؟ أيقبلُ الله بذلك؟ هل مستقرّي النارُ حقّاً؟ هل أنا حقاً لا أستحقّ العيش؟ هل أنا...؟ وقبلَ أن تكملَ قاطعَتها (فاطمة):

- لا... (هبة)، أيعقلُ أن يكون ظنُّكِ بالله هكذا.. لم تُهانِي يا (هبة)، هكذا نصيحةٌ لا فائدة منها، إنّ الله يعلم ما بأنفس البشر وليس هنّ، والله يَعلمُ أين مستقرّ كلّ إنسان لا هنّ، الله تبارك وتعالى هو الذي يحدّد ذلك، وليس هنّ.. كفكفي تلكَ الدموع؛ فلقد غيّرت ملامحَ وجهكِ اللطيف.

- (فاطمة)، إنصحيني، بماذا أبدأ أوّلاً؟ أُريد أنْ أتغيّر، أريد أنْ أكون أفضل.

- دعي ذلك لوقتٍ لاحق.

البقية في العدد القادم





ديموغرافيا قضاء شطّ العَرَب
(قُراها وأكواتُها)

إعداد: علي حسين سعودي

هو أحدُ أقضية محافظة البصرة، يقع على الضفّة الشرقيّة لنهر شطّ العرب، وتطلُّ عليه اثنتا عشرة جزيرة تقع في مياهه، وهي جزر كانت سابقا مزارعَ لزراعة الرزّ وبساتين نخيل وأشجار مثمرة، ومن التسميات القديمة للقضاء هي دجلة العوراء[1] ؛ نسبة لنهر شطّ العرب، ومن أهم النواحي والقرى فيه:

كِرِدْلان (green land): وتعني: الارض الخضراء، أو الجزيرة الخضراء، والتلّ العالي، وهي تقابل نهرَي العشّار والخَندَق، وكانت مركزاً للقضاء قديماً.

التنّومَة: القليل منّا يعرف ما أُطلق من تسميات على منطقة (التنّومة)، مثل: الجاحظ، أو الأندلس، ورغم جمال هذه التسميات وعمق معانيها، فقد بقيت تسميةُ التنّومة الأحبّ إلى نفوس أهلها ونفوس البصريّين الآخرين، وهي تقابل منطقة العشّار مباشرةً، كانت معظم بيوتها مبنيّةً من الطين والقصب، ومزارعُها عامرة بالنخيل، وسكانها من الفلّاحين أاصحاب الزوارق، يعمل قسم منهم على البواخر التجارية.

تميّزت بساتينُ التنّومة بعُتمتها وظلالها ؛ بسبب كثافة وازدحام الأشجار والنخيل، وكأنّك في غابة[2]، فيها مستشفى كبير للجيش العثمانيّ قديماً، وبعد الاحتلال البريطانيّ للبصرة عام (١٩١٤) وما بعده، استُعمل هذا المستشفى كدائرة ميناء[3] من قبل المدير العام، الكونيل (ورد) قبل



إنشاء الميناء الحاليّ[٤]، وفي عام (١٩١٥) أنشئت محطّة طيران للجيش البريطانيّ، وهي أوّل محطّة تنشأ في العراق والجزيرة العربية، وكان مقرّ القوّات العسكريّة قبل إنشاء مطار الشعيبة العسكريّ في عام (١٩٤١م)، أمّا الآن، ففيها دائرة قائمقاميّة قضاء شطّ العرب، ومديريّة البلديّة، ومجلسٌ بلديّ، ومديريّة شرطة[٥] ودار قضاء أو محكمة.

الكباسي الكبير: تقع القريةُ جنوب مدينة شطّ العرب شمال ناحية التنّومة، وهي من القرى الكبيرة في محافظة البصرة، يخترقها نهر الكباسي الكبير، تنقّلت ملكيّتها لعدّة عوائل بصريّة.

كوت الجوع: تقع حدودُها الشرقيّة محاذيةً لشطّ العرب، وشمالها تقع (التنّومة)، وتنتهي عند صدور نهر الصالحيّة المسمى سابقاً بشطّ العرب الصغير، ويحدّها شرقاً الأراضي المتّصلة برّاً بإيران، وكان فيها قصران، أحدهما: لورثة المرحوم عبد الكاظم الشمخانيّ، والآخر: يعود إلى عبّود بيك المَلّاك، ابن الحاج حمود باشا الملّا، وقد آلت بعض هذه الأملاك الى ورثة الحاج عبد الوهاب الخضيريّ، والى ورثة الحاج العطّار، وكلّها بساتينُ عامرةٌ في السابق[٦].

قرية مْزيرْعة: تقع شرقيَّ القُرنة في ناحية السويب، وتقابل القرنةَ مباشرةً، وفيها بساتين عامرة، وقعت على أرضها معاركُ فاصلةٌ بين الجيشين العثمانيّ والبريطانيّ في الحرب العالمية الأولى[٧].

ناحية النّشْوة: كانت في العهد العثمانيّ ناحيةً إداريّةً، وفيها مدير ناحية، وجمارك، وسوق، ومحطة للقوافل التجاريّة القادمة من الحويزة الى البصرة.

قرية الزريجيّ: تقع قرية الزريجيّ في شمال شرق البصرة، على جانب شطّ العرب، حيث يفصل بينها وبين قرية زويّن جسرُ سعد، تشتهر الزريجي بالزراعة؛ إذ يزرع فيها النخيل، وأنواعٌ من الخضروات الشتويّة والصيفيّة والشعير والحنطة، وكذلك تشتهر بتربية المواشي، وصيد الأسماك، وتختلف عن بقية قرى شطّ العرب بوجود مواقع تنقيب أثريّة؛ إذ وجدت فيها آثارٌ لمقبرة ومباني أثريّة يشكّ في أنّها تعود لمدينة الأُبُلَّة القديمة، أو مدينة (خاراكس)، المدينة التأريخيّة الضائعة التي أنشأها الاسكندر الثالث المقدونيّ سنة ٣٢٤ ق م.[٨]

قرية كتيبان: تأتي جنوب الزريجيّ، كانت فيها معاملُ الطابوق، وفيها (معمل عصريّ)، والباقي مجموعة دوغ[٩].

قرية جزيرة الحَمراء: من القرى التابعة لناحية السويب، يسكنها الفلّاحون ومّلاحو السفن، فيها أشجار النخيل، وكانت ملكاً لورثة آل باش اعيان، وآل موسى العطيّة[١٠].

قرية الشاملي: تقع جنوبيّ المزيرعة وجزيرة الحمراء، على ضفّة نهر السويب الجنوبيّة، تقع بين مقاطعتين زراعيّتين: الجلبيّه (الحويسه) و الشيازيّة، التابعتين لناحية النشوة، التابعة لقضاء شطّ العرب[١١]، سكّانها من الفلّاحين، فيها أشجار النخيل.

قرية باب جليع: فيها مزارعُ نخيل، وفي أراضيها الشرقيّة تزرع الحنطة والشعير، وفيها قرىً صغيرةٌ تابعة لها، وهي:(الهديرة، الحوطتين، الريّان، جزيرة الصكر، أراضي الخراب)[١٢].

الكباسي الصغير: وهي قريةٌ صغيرةٌ زراعيّةُ تقع في جنوب العراق شرقيّ مدينة البصرة، وتتبع إداريا قضاء شطّ العرب، تسكنها مجموعة من العشائر العربيّة الكبيرة التي استقرت في القرية، معروفة بكثرة نخيلها قبل خمسة عقود من الزمن، لكن تعرّضت المنطقة إلى التدمير، وقُطّعت الأراضي لغرض السكن، وضاعت واندثرت معها بساتينُ النخيل.

كوت الباشا: فيما مضى كانت موجودة، وأمّا الآن، فقد اندمجت مع كوت الجوع.

كوت السيّد: كان يمتلكها نقباءُ البصرة من السادة الرفاعيّة، وهي غير كوت السيد الواقعة شماليّ قرية الدغيمات، التي كانت مملوكة لشركة (هلس أخوان) الأمريكيّة بعد عام ١٩٣٣ م، ثمّ بيعت الى مرحوم عبد الكاظم الشمخاني [١٣].

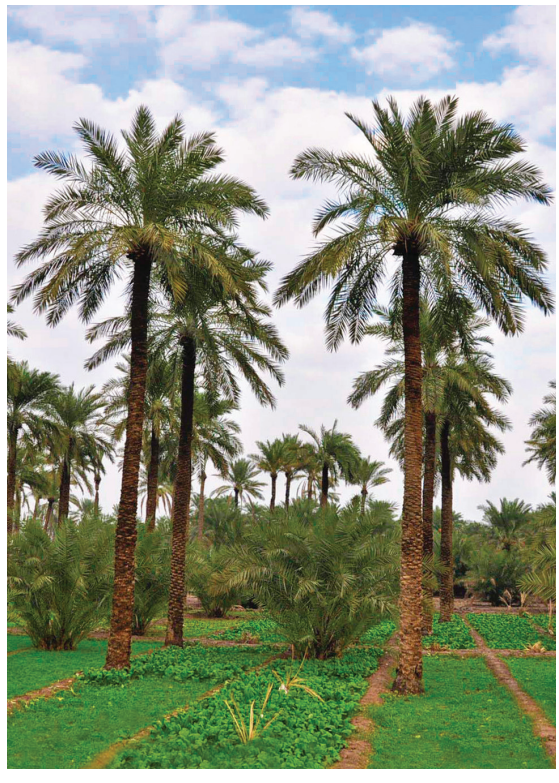
كوت ابن نعمة: من مقاطعات شطّ العرب، تخترقها ثلاثةُ أنهر من جهة شطّ، تحفّها بساتين[١٤] مثمرة.

كوت زعيَّر: قريةٌ في مركز التنّومة، كانت من أملاك الشيخ خزعل أمير المحمّرة وعربستان سابقاً وورثته، وقسمٌ منها لورثة المرحوم حسن علي من أهالي عَدَن، وقسم للطبيب العسكريّ العثمانيّ قائم مقام قسطنطين، وبعدها بيعت الى عدّة ملّاكين منهم المرحوم عبد اللطيف المنديل، وأملاك شيخ خزعل مُلّكت لأسرة آل زعيّر البصريّة العريقة حتى سُمي الكوتُ باسمهم [١٥].

كوت الكوام: تقع قرية كوت الكوام إلى جنوب مركز شطّ العرب بمسافة (٥كم)، وإلى الجنوب من قرية كوت الجوع، كانت فيما سبق أراضيَ زراعيّةً خصبة، عدد القطع الزراعية (٧٦) قطعة، إلّا أنّ ظروف الحرب والإهمال حوّلت معظمَها إلى أراضي غير زراعيّة، وقد زحف عليها العمران بعد عام ٢٠٠٣ [١٦].

كوت سوادي: ويشمل ثلاثَ قرىً في كوت واحد، وهي (البصبوصيّة، الجريف، الحبّابة)، عدد قطعها (١٤٩) قطعة، وهي بساتينُ مثمرةٌ يملكها ورثة فهد باش السعدون، وبيت سوادي، وكنعان الحمد، وقد بيعت الى آخرين[١٧].





كوت دحيمي: ويشمل كوت الدحيمي الكبير والصغير، وكوت السيّد، الذي سُمّي فيما بعد بمزرعة كوت السيّد؛ حيث انشئت عليها مزرعةٌ نموذجيّة ومعملُ تعليب تمور الحلّاوي، ومخازن تبريد يديرها المستر (داوسن)، ثم انتهت هذه الزراعة بسبب الظروف البيئيّة للبصرة آنذاك، وتقع على شطّ الصالحيّة الذي يتّصل بنهر الدعيجي[١٨].

كوت السنّي: يقع جنوبيّ كوت السيّد، وهي أراضٍ مغروسةٌ بأشجار النخيل، مناصفةً بين سارة خاتون ونقيب البصرة.

قرية نهر جاسم: (١٩٥) قطعة زراعيّة، سُمّي النهر باسم من حفره، وهو السيّد جاسم الكامل، الذي ينحدر نسبه الشريف من السيد ابراهيم المجاب، ابن الامام موسى الكاظم عليه السلام[١٩].

قرية الدعيجي: يخترقها نهر الدعيجيّ من شطّ العرب الصغير (الصالحية)، عدد القطع الزراعية (١)، كانت في العهد العثمانيّ دائرةَ جمارك، ومدرسة ابتدائيّة، ومخفر شرطة.

جزيرة السليمانيّة: سُمّيت باسم سليمان بيك الكرديّ، الذي أوقفها على مدرسة السليمانيّة في البصرة، التي انشأها في المحلّة التي تسمّى الآن محلّة الصفاة [٢٠].

جزيرة البوارين: (١٨٧) قطعة، تتضمّن (الخرنوبيّة)، وهي وقف الحرم النبويّ الشريف، الشلهية، والحدّة)، وهي آخر الحدود العراقيّة الايرانيّة التي يفصلها نهر الخيين ومخفر الشلامجة الحدودي.

وهناك قرىً أخرى تابعةٌ للقضاء لم نذكرها منعا للإطالة.

وأخيراً، يبقى قضاء شطّ العرب مرفقاً سياحيّاً وتجاريّاً مهمّاً لمحافظة البصرة، ودليلاً للسائحين على مرّ السنين؛ لأهمّيّته الثقافيّة والاقتصاديّة.

الهوامش

١- كما ورد في معجم البلدان للحموي.

٢- رحلة مع قافلة الحياة، بدر خالد البدر، ج ١، السفر الى البصرة.

٣- جريدة المستقبل العراقيّ الصادرة ببغداد في ٢٠١٣/٦/١٧.

٤- شطّ العرب، محمد طارق، مطبعة الموانئ في البصرة، ص١٠، ١٩٧١.

٥- تراث البصرة، أنهار البصرة وقراها ومقاطعاتها الزراعية، ج٣، ص١٥٣.

٦- تراث البصرة، المصدر نفسه، ج٣، ص١٥٤.

٧- تراث البصرة، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٤٩.

٨- السومريّة نيوز، هيئة الآثار والتراث في البصرة، أسفرت عن اكتشاف مقبرة وأسس مبانٍ تاريخية تعود الى العهد السلجوقي.

٩- تراث البصرة، المصدر نفسه، ج٣، ص١٤٩-١٥٠.

١٠- موسوعة تاريخ البصرة، ج١، ص٢٤٥.

١١- احداث ناحية النشوة في محافظة البصرة موسوعة تاريخ البصرة، ج١، ص٢٤٥.

١٢- موسوعة تاريخ البصرة، ج١، ص٢٤٦.

١٣- تراث البصرة، المصدر السابق.

١٤- لغة العرب - السنة الثالثة، البصرة وانهارها، ص١٣٠.

١٥- عبد القادر باشا عيان، موسوعة تاريخ البصرة، ج١، ص٢٥١.

١٦- موسوعة تاريخ البصرة، المصدر السابق.

١٧- تراث البصرة، المصدر السابق، ج٣، ص١٥٦.

١٨- موسوعة تاريخ البصرة،ج١، ص٢٥٣؛تراث البصرة،ج٣،ص١٥٧-١٥٨.

١٩- حامد عدنان الكامل، من مقال عن نهر جاسم، جريدة الاخبار البصرية، اراء وحوارات، العدد ٤١٧ الثلاثاء ٢٥ حزيران ٢٠١٣،ص٤؛ تراث البصرة،ج٣،ص١٥٨-١٥٩.

٢٠- موسوعة تاريخ البصرة،ج١، ص٢٥٣.

دائرة البريد والبرق المركزيّ في العَشّار

الأستاذ: حسين العطيّة



معالمُ كانت هنا وهناك، أماكنُ اندثرت، لكنّها بقيت في الذاكرة، دائرةُ البريد والبرق المركزيّ من الدوائر المهمّة التي لا تقلّ في نظامها ودقّة عملها وسرعته عن أحدث دائرة بريد عالميّة، كانت طبيعةُ عمل هذه الدائرة الحيويّة تأمينَ استلام وتسليم الرسائل الاعتياديّة والمسجّلة والرزم الداخليّة والخارجيّة والحوالات البريديّة والبرقيّات اللاسلكيّة إلى بلدان العالم، وقبول نداءات التلفون للمسافات البعيدة.

وأمّا سُعاة البريد، فكانوا يوصلون الرسائل إلى عناوينها بواسطة درّاجات هوائيّة مثبّتة عليها لوحات بأرقام خاصّة تشير إلى أرقام هذه الدرّاجات أسوةً بالسيّارات؛ ليتمّ بعدها توزيع البريد حسب أرقام الدرّاجات؛ فكلُّ رقمٍ يختصّ بمنطقة معّينة.

وبالقرب من بناية البريد المركزيّ وبنايات البريد الأخرى، كان يوجد صندوقان باللون الأحمر للرَّسائل، يضع فيهما



الأشخاصُ رسائلَهم، وقد خُصّص الصندوقُ الكبير للرسائل الداخليّة، أمّا الصّغير، فكان للرّسائل الخارجيّة.

كانت بناية البريد عبارة عن قصر - ويسمّى وقتها (قصر الشّعيبيّ)،وهو ملكٌ يعود لآل الشعيبيّ شغلته مصلحة المبايعات الحكوميّة التابعة لوزارة الاقتصاد، التي تغيّر اسمُها الى الشركة العامّة لتجارة الموادّ الغذائيّة نهاية الستينيّات ومطلع السبعينيات من القرن المنصرم، قبل أن تكون دائرةً حكوميّةً تُعرف بدائرة البريد والبرق المركزيّ في البصرة.

وكان الأستاذُ المرحومُ حسين الناصح يشغل منصبَ مدير دائرة البريد والبرق المركزيّ، فهو من ضمن الذين تولّوا إدارة هذه الدائرة مدة ٤٧ سنة، وقد تدرَّج في وظيفته؛ إذ بدأ بالعمل كموظّف بسيط الى أن أصبح المدير لحين تقاعده، وكذا تولّى منصبَ الإدارة المرحومُ ضياء الشمّاع سنة ١٩٦٩.

كانت الدائرة تقع سابقاً مقابل محلّة البجّاري في الضفّة الأخرى لنهر العشّار، حيث كان يقع فندقا الميناء والخيّام وبقيّةُ البنايات التي أزيلت عند توسعة شارع السَّاحل سنة ١٩٦٤م، ويقع إلى يمين دائرة البريد مطعم حدّاد ضمن بناية سينما شطّ العرب الصيفيّ قبل أن ينتقل إلى سوق حنّا الشيخ، وعلى يسارها كان محلٌّ كبير للكهربائيّات، وفوقه لوحة كبيرة دعائيّة لمحلّات حافظ القاضي.

ويقع في الفرع بين البريد وسينما شطّ العرب الصيفيّ مكتبُ المرحوم فيصل حمود لتوزيع الصحف والمطبوعات العراقيّة والعربيّة، والمرحوم كما هو معلوم- مؤسّسُ المكتبة الأهليّة في السّيف سنة ١٩٢٧م، التي تقع حاليّاً في البصرة القديمة، في الفرع الذي كان يقع في بدايته (سره العربان) التي تنقل الركّاب إلى المستشفى الجمهوريّ وبالعكس.

قراءةٌ في كتاب
(عبقريٌّ من البصرة)

للمؤلّف: الدكتور مهدي المخزوميّ



بقلم :د. أشرف عبد الحسن

كانت البصرةُ ملتقىً للعلماء والأدباء والشّعراء؛ فقد تلاقَت فيها الأفكارُ، وتفاعلَت فيها الحضاراتُ، ولم يمضِ قرنٌ من الزمان على تمصير البصرة حتّى كانت أكبرَ الأمصار، وأحفلَها بالدارسين. وكان في البصرة مركزان ثقافيّان كبيران كان لهما أكبر الأثر في تطوير المجتمع البصريّ، وكان لهما مشاركةٌ لا تُنكر في دفع الحضارة الإنسانيّة الى الأمام، وتطويرها، ثم نشرها في الآفاق. أولهما: المسجد الجامعُ، الذي يُعرف في وقتنا الحاليّ بـ (الخطوة) أو (مسجد وخطوة الإمام عليٍّ عليه السلام)؛ لأنّه كان المقرَّ الرئيسَ له عند قدومه للبصرة. والمركز الثاني في البصرة: هو المِربَدُ، وكان كسائر أسواق العرب سوقاً لتبادل السلع، ثمّ صار مثابةَ القبائل، تجتمع فيه في المواسم ومعها خطباؤها وشعراؤها؛ ليتناشدوا، ويتفاخروا، والرواة ليلتقطوا الغريبَ والنادرَ من فصيح كلام العرب، والنحاة واللغويون ليشافهوا الأعراب، ويراقبوا اختلاف اللغات أو اللهجات.

وكان الخليلُ لا يدع فرصةً إلّا افترصها في لقاء الأعراب والأخذ عنهم، ولم يبلغ الدرسُ النحوُّي ولا الدرس اللغويُّ من النضج والاكتمال مثلَ ما بلغَه عند الخليل؛ فقد طَفَر بالنحو طفرةً عجيبةً لم يشهد تاريخ النحو مثلها، وكان من مظاهر ذلك المجالسات والأماليُّ التي تلقّاها سيبويه عنه فجمعها في أوّل كتاب كبير في النحو ضمّ بين دفّتيه نحواً كاملاً في أصوله ومسائله. وأما الدرسُ اللغويُّ، فقد كان عند الخليل ينحدر عن فكرٍ لغويّ ناضج؛ فله من أقواله وآرائه ما يشبه أن يكون نظريّة تامّة، وفي مجلسه وقفَ الدارسون أوّل مرّة على ما يسمّى الآن بعلم الأصوات اللغويّة.

وكان كتابُه (العينُ) أوّلَ مُعجم لغويّ حاصرٍ للغة العرب، وكان مثار اهتمام الدارسين، وموضعَ إعجابهم، وكان مصدرَ إلهامِ اللغويّين الذين جاءوا بعدَه، بل كان مادّتَهم في مُعجماتهم. واذا كان الخليل مسبوقاً بالدرس النحويّ أو الدرس اللغويّ بوجه من الوجوه، فإنّ علم العَروض علمُه الذي لم يُسبق إليه، ولم يُشاركه أحدٌ فيه، ولم يَزِدْ عليه أحدٌ فيه شيئاً ذا بال.

والفراهيديُّ هو: الخليلُ بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيديّ الأزديّ اليحمديّ، أبو عبد الرحمن: من أئمّة اللغة والأدب، وواضعُ علم العَروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها، وهو أستاذ سيبويه النحويّ.

وُلد في البصرة سنة ١٠٠ هـ، وعاش فقيراً صابراً. كان شعثَ الرأس، شاحبَ اللون، قشفَ الهيئة، متمزّق الثياب، متقطّع

القدمين، مغموراً في الناس لا يعرف. قال النضرُ بنُ شميل: ما رأى الراؤون مثلَ الخليل، ولا رأى الخليلُ مثلَ نفسه. له كتاب (العين) في اللغة، و(معاني الحروف)، و(جملة آلات العرب)، و(تفسير حروف اللغة)، وكتاب (العَروض)، و(النقط والشكل)، و(النغم)، وتوفّي في البصرة سنة ١٧٠هجرية.

والفراهيدي نسبةً إلى بَطنٍ من الأزْد[١]، قال ابنُ داود الحلّي: كان خليل بنُ أحمد أفضلَ الناس في الأدب، وقولُه حجّة فيه، واخترع علم العَروض، وفضلُه وزهدُه أشهرُ من أن يخفى، وكان إماميّ المَذهب[٢].

وكتاب (الفراهيديُّ عبقريٌّ من البصرة) هو رسالة الماجستير للأستاذ مهدي المخزوميّ، الذي قال في مقدّمتها: بذلت في البحث ما هُيِّئ لي من جهد لاستشفاف روح الخليل وعقله، واستكناه علمه، وكذا ذكَرَ أنّه بعد الانتهاء من الرسالة وحصوله على الماجستير لم يوفِ الخليلَ حقَّه، ولم يستطع أنّ يرسم صورةً مكتملةً له، وبقي مدّة رُغم انشغاله، إلّاأنّه لم يضعف إعجابُه بالخليل وبما قدّمه للعلم والحضارة وللتاريخ العربيّ الاسلاميّ من أسباب الاعتزاز والفخر، وبقي المثلَ الأعلى له، حتّى حانت الفرصةُ كما ذكر فرجع الى رسالته، فسدّ بعضَ الثغرات، واستدرك بعضَ ما فاته، فتمَّ نشرُها في كتاب سنة ١٩٧٢م.

الكتابُ صدر عن دار الشؤون الثقافيّة العامّة ضمن سلسلة خِزانة التّراث، وطُبع الكتابُ طبعتَين، الأولى: سنة ١٩٧٢، والثانية: سنة ١٩٨٢م.

يقع الكتاب في (١٢٣) صفحة من القطع الوزيريّ، وتألف من مقدّمة وعدّة مباحث ابتدأها بمقدّمة تاريخيّة حول البصرة ومراكز الثقافة فيها، وأهمّها المسجد الجامع والمِربد التي كانت ملتقى الشعراء والأدباء والعلماء، ثمّ ابتدأ بموضوع البحث الرئيسيّ، فتناول حياةَ الخليل بن أحمد الفراهيديّ، ومصادرَ علمه، والدرسَ اللغويَّ والدرسّ الصوتيَّ عند الخليل، ورأيه في اللغة نشأةً ودلالةً، والتأليفَ اللغويَّ والدرس النحويَّ عنده، وجهوده في اكتشاف علم العَروض، ليختم الكتاب بخاتمة تضمّنت خلاصةَ المباحث التي تطرّق إليها.

ونذكر هنا شذرات من سيرة الباحث: هو مهدي بن محمد صالح بن حسن المخزوميّ، لغويٌّ وأستاذٌ جامعيٌّ، وكاتبٌ وشاعرٌ عراقيٌّ، وُلد في النجف عام ١٩١٧م وتعلّم فيها علومّه الأولى في مساجدها، ثمّ دخل مدرسة الغريّ الأهليّة، وتخرّج منها بشهادة الابتدائيّة، ثمّ تابع دراسته على الطريقة القديمة، فدخل حضيرةَ الجامع الهنديّ، وأخذَ علومَ الأدب والدين.

عيّن المخزوميُّ وكيلّ معلّم في سوق الشيوخ، ثمّ سافر إلى مصر سنة ١٩٣٨م، ودرس في كليّة الآداب في جامعة القاهرة، وعاد إلى العراق فعُيّن مدرّسًا في دار المعلّمين الريفيّة في الرستميّة ببغداد، وبعد أربع سنوات عاد إلى القاهرة عام ١٩٤٧م وأكمل دراستَه العليا، فنالَ شهادة الماجستير سنة ١٩٥١م، ثم الدكتوراه سنة ١٩٥٣م، وعاد إلى بغدادَ فعُيّن مدرّسًا في كليّة الآداب في جامعتها.

للمخزوميّ شعرٌ جيّد قاله في بعض المناسبات، وله من المؤلفات: الدرسُ النحويُّ في بغداد، الفراهيديّ: عبقري من البصرة، في النحو العربيّ نقد وتوجيه، في النحو العربيّ قواعد وتطبيق على المنهج العلميّ الحديث، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، الخليلُ بن أحمد الفراهيديّ: أعماله ومنهجه، أعلامٌ في النحو العربي. وله عدة مقالات منشورة في المجلّات، منها: بين ابنِ خالويه والمتنبّي، والعربيّة النموذجيّة قديما وحديثا، وغيرهما، وله تحقيقُ كتاب (العّين) للفراهيديّ، وله جمعُ وتحقيقُ ديوان الجواهريّ بالمشاركة مع الدكتور إبراهيم السامرّائيّ وآخرين.

لكتاب (الفراهيديُّ عبقريٌّ من البصرة) أهميةٌ كبيرةٌ؛ إذ بيَّنَ دورَ البصرة في مجال علوم اللغة، ومساهمةَ الخليل الواضحة في هذا المجال، بل كان من المعلّمين والمؤسّسين الأوائل لتلك العلوم وتدريسها. توفّي المخزوميُّ سنة ١٩٩٣م، رحمه الله تعالى، وجزاه خير الجزاء بما قدّم من خدمات جليلة في مجال تخصّصه.

الهوامش

١- يُنظر: الزِّرِكليّ، الأعلام، ٢/ ٣١٤.

٢- ابن داود الحلّي: الرجال، القسم الاَول: ٨٨ / ٥٧٤؛ العلاّمة الحلّي، الخلاصة، القسم الاول: ٦٧؛ ابو القاسم الخوئيّ، معجم رجال الحديث، ٨/ ٨٠.



الشّهيد السّعيد
عبد الحَميد مُسلم جري الصّبيح

علي سلمان كنعان

لطالما وضَعتُ صورَتَهُ أمامِي، ولم تكن لي مَعَهُ صلةُ قَرابةٍ، ولم أكن أعرِفهُ مَعرِفَةً شَخصِيَّةً، لكنني عَرَفته بَطلاً من أبطالِ الحشدِ الشَّعبي المقدَّسِ، قد ضَحَّى مِن أجلنا؛ لكي نَعيشُ بطمأنينةٍ، وسَعادَةٍ.

أحببتُهُ كثيراً، وكل ما نظرتُ إلى صورَتِهِ تذكَّرتُ تلكَ البطولات والتَّضحيات التي ما يزالُ يسطِّرها الشَّبابُ الأبطالُ في ميادينِ العِزِّ والرجولةِ.

إنَّه ابنُ البَصرةِ، الشَّهيدُ السَّعيدُ: (عبد الحَميد مُسلِم جَري الصّبيح) مِن مواليدِ البَصرَةِ عام (١٩٩٠م)، ومِن سَكَنَةِ ناحِيةِ الهارثَة، متزوِّجٌ ولَدَيهِ بِنتٌ واحِدَةٌ أسماها (زَينب)، حَصَلَ على الشَّهادَةِ المتوسِّطَةِ ولم تُتَح لهُ فُرصَةُ إكمالِ دِراسَتهُ الإعداديَّة.

عاشَ الشَّهيدُ في قَريةٍ تمتازُ بطابِعها العَشائِري، وموروثِها البَصريِّ الأصيلِ، وتمتَّعَ ببنيةٍ قَويةٍ أهَّلتهُ أن يكونَ مقاتلاً بطلاً من أبطالِ الحشدِ الشَّعبيِّ المقدَّسِ على الرَّغمِ من صِغَرِ سِنِّهِ.

عند صدورِ الفَتوى المبارَكة عام (٢٠١٤م)، هَبَّ الشَّهيدُ ومَن مَعهُ مِن أهلِهِ ملبينَ نِداءَ المرجعيّةِ العُليا، وتوجَّهوا إلى ساحات القتال حيث أعداءَ الإسلامِ، والإنسانيَّةِ، وشارَكَ في عِدَّةِ معاركٍ أبرزُها في (الأنبارِ)، وشِمالِ (بغداد)، و(سامراء) واخرها معركَةُ (الصَّقلاويَّة) التي نالَ فيها الشَّهادَةَ بتاريخِ (٢٠١٥/٧/٢٥م)، جَرَّاء انفجار عبوةٍ ناسِفَةٍ.

عُرِفَ الشَّهيدُ (عبد الحَميد) بين أهلِهِ، وعمومتِهِ، وأصدقائِهِ المقاتلين بشجاعتِهِ، وبسالتِهِ، وعندَما يشتَدُّ القِتال مَع الدَّواعِش، حتى أنَّ يَدَهُ لا تفارِق زِنادَ سِلاحِه (البي كي سي).

وصيته: قبل شهادَتِهِ رَحمَهُ الله أوصى(عبدُ الحَميد إخوتَه المجاهدينَ على الاستمرارِ بطريقِ الجِهاد حتى تحقيقِ النَّصر أو نيلِ الشَّهادَةِ.

التفاتة

مقترح :

لا بُدّ مِنْ أنْ يكونَ في كلّ بيتٍ مَحلٌّ للثقافة، فهي المنارُ، ومفتاحُ الهدايةِ، وأفانين كلّ خيرٍ وجمال، ولاشكّ في أنّ الكتاب من أعلى الأدلة عليها، فالكتابُ والثقافة يسيران في اتجاهٍ واحدٍ لا يفترقان، والناس في حيازتهم الكتبَ متفاوتون، فمنهم مَنْ يمتلكُ مكتبةً عامرةً تضمُ أمهات المصادر والمراجع في تخصّصٍ مُعيّنٍ أوفي معارفَ متنوعة، ومَنْ يمتلك العددَ القليل، ولا أظنّ أن بيتاً واحداً يخلو من الكتاب، واذا ما طرقَ مسامعَنا اسمُ شاعرٍ او كاتبِ قصّةٍ او ناقد او عالمٍ، فسيقودُنا ذلك إلى التصوّر بأن وراءَ كلّ واحدٍ منهم مكتبةً هي الينبوع الذي يستسقي فيه ما يعززّ به تكوينَهُ الثقافي.

إنّ هذه المكتبات تتنامى وتتعاظم مادام راعيها على قيد الحياة، فهو دائماً يُصنّفُ، ويُرتّبُ، ويَعْتَني، ولا يتردّدُ في البحث عمّا يصدرُ من جديد، وربّما يأخذ من قوتِ يومِهِ من أجْل أنْ يقتني الكتب.

هكذا هُمْ عشّاقُ الحرف، وأربابُ المعارف، فما داموا أحياءً فانّ مكتباتهم تَنْعُم بالحياة ايضاً، وما الخَطْبُ إلاّ عند الفَقْد؛ هنا تحَسَب ان مكتباتهم أشدُ حزناً عليهم من الأبناء والأقرباء لأنهّا قد لا تجدُ من الرعاية والعناية ما كانت تلقاه على يد أصحابها.

إنّ بينَ الوارثين أحياناً مَنْ يَمسَحُ الدموعَ، ويَرسمُ الابتسامةَ على الصفحات، ولكن قد يحصلُ العكسَ فهناك من لا يعرف قيمة العلم فتلقى من الاهمال ما تلقي، حتى تجدُ الأتربة سبيلها إليها فتعجّلّ في نهايتها، وقد يؤدي الأمرُ إلى أنْ تباع تلك النفائسُ بأبخسِ الأثمان، ولعلّ ما يوجع أن تتحول إلى أيدي الحمقى الذين يقفون في الطرف الآخر النقيض لمنابع النور، عندها ستنقطعُ الصلة بينها وبين مَن نشأتْ ونمَتْ وتكوّنَتْ على يديه، ومع تقادم الزمن ينمحي الأثر للمالك والمملوك، فهل مِن سبيلٍ لأنْ تتواصلَ الحياةُ لكليهما ؟؟

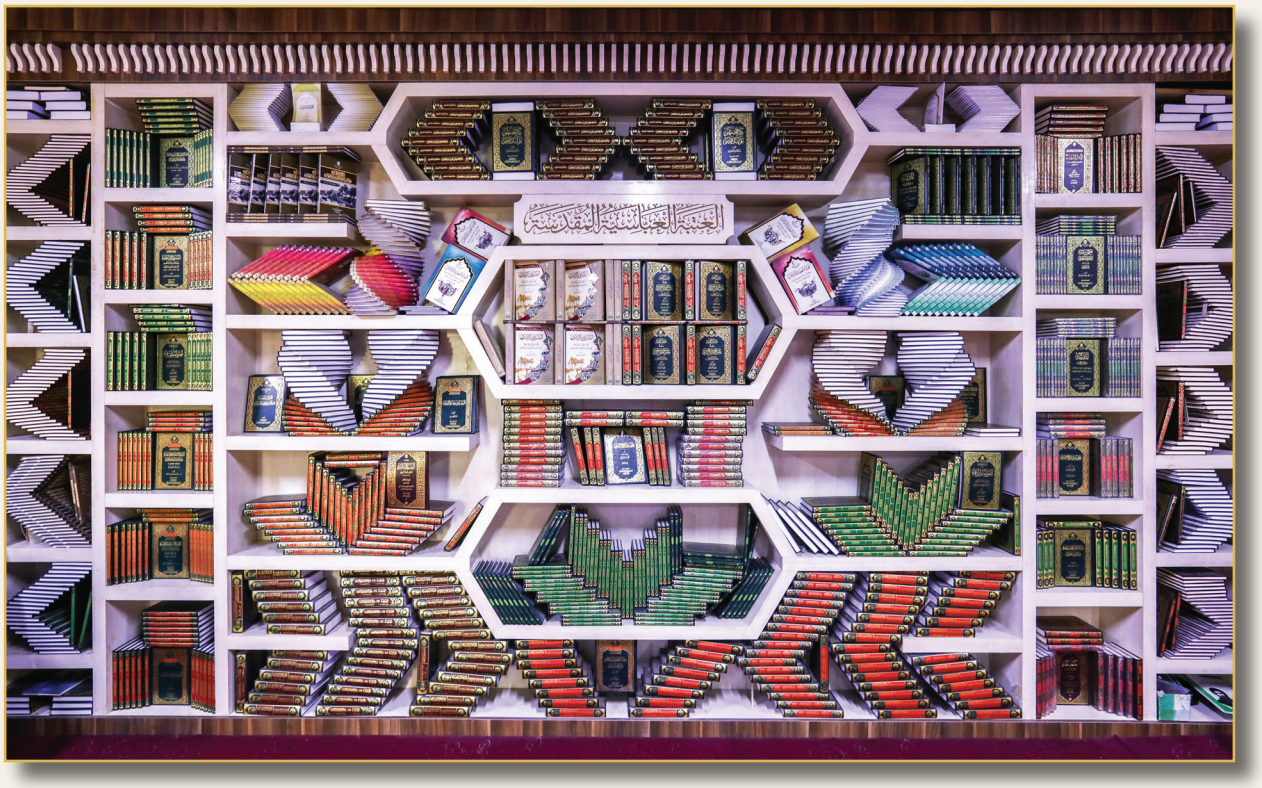
إنّ الأمرَ على ما أرى موكولُ إلى المؤسسات أو المراكز المعنية بالثقافة والتراث للتعاقد مع اصحاب المكتبات من كبار السنّ وذلك لتخصيص أماكن لائقة بتلك الكنوز وما تضمّ من المقتنيات الأثرية التي قد يندر وجود مثلها الآن، ويجرى الترتيب والتصنيف على وفق منهج سليم يتيح لطلاب العلم والباحثين تحقيق ما يبتغون.

إنّ اقماراً لامعة ونجوماً مضيئة في سماء بصرتنا، فيهم كبار الأدباء والمتميزون من العلماء والاكاديميين الذين طُبعت أسماؤهم في ذاكرة الأجيال وفي ساحات المعرفة.

ومن جانب مجلتنا (مجلة الخطوة) بوصفها مجلة تصدر عن مركز يعتني بالجانب التراثي نسعى لمخاطبة كل الجهات التي لها عناية بالتراث البصري للاهتمام بهذا الموضوع اهتماماً خاصاً؛ لكونه يشكل تراثاً بصرياً واضح الثّراء بأطيب الثمار، ولعلَّ من أجمل ما يمكن أن يقوم به المعنيون هو تخصيص مكان أو قاعة كبيرة لتكون (متحفاً) يحمل عنوان (متحف التراث المكتبي البصري) يضم مكتبات كبار رجال العلم والادب البصريين و ما أكثرهم وهناك تكتب سيرهم وصورهم، ولا شك في أن هناك مقتنيات من الآثار (فضلاً عن المخطوطات والنوادر).

إنَّ هذه الخطوة ستعطي ثمارها في حماية التراث وتقديمه إلى الباحثين، فضلاً عن أنَّ هذا المتحف سيكون مكاناً لزيارة السائحين والوفود.

• مدير التحرير



مكتبة مركز تراث البصرة



متنزه البيت الصيني (شفقة العامل) في الستينيات

للتواصل معنا